مكتب الدار للدراسات والاستشارات التربوية والتعليمية
ADDARR OFFICE FOR STUDIES OF EDUCATIONAL AND CONSULTING

منهج الإسلام في رعاية
طلاب العلم المغتربين
٢

الرحلة في طلب العلم
أحكام وتنبيهات ونماذج

إعداد
مكتب الدار للدراسات والاستشارات
التربوية والتعليمية

إشراف
أ.د محمد بن عبدالعزيز العواجي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
رئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

تم هذا المشروع
برعاية مؤسسة
آل الجميح الخيرية
الجميح الخيرية
AL ALJOMAIH CHARITY

رعاية طلاب العلم

منهج الإسلام في رعاية طلاب العلم المغتربين (٢)

الرحلة في طلب العلم

أحكام وتنبيهات ونماذج

مشروع بحثي قام به مكتب

الدار للدراسات والاستشارات التعليمية والتربوية

تحت إشراف معهد البحوث والدراسات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

إشراف

أ.د محمد بن عبدالعزيز بن محمد العواجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

رئيس مجلس إدارة جمعية رعاية طلاب العلم بالمدينة المنورة

١٤٣٩هـ

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، تركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه وعلى كل من سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين...وبعد:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة١٢٢].

إن طلب العلم مهمةٌ عظيمة، ومهمةٌ ذاتُ أبعادٍ كثيرةٍ في كل الأماكن والأزمان، باعتباره ركناً أساسياً في تكوين المجتمع الإسلامي، وتنشئة أجياله، والحفاظ على هويتهم الإسلامية التي تنادي بالعلم والعمل، لأنها تُخرج الناس من ظلمات الجهل والغيِّ إلى نور العلم والهداية.

ولكي يعود لنا عزنا السالف ومجدنا التليد، فلا سبيل إلا بالعودة لما كان عليه سلفنا الصالح، وبالرجوع إلى ديننا الحنيف وتعاليمه القويمة، ننهل منها، ونتمسك بآدابها، ونعلمها أبناءنا، ونجعلها نبراس حياتنا، ومنهاج سلوكنا.

قال عبد الله بن مسعود: "من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"(١).

وهذا لا يتحقق إلا بعد أن نعتمد المنهج الشرعي في العلم والتعلُّم والتعليم؛ الذي عمل به سلفنا الصالح، فنتبناه ونطبقه، ونساعد على نشره بين الناس "فإنه لن يصلح حال هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"(٢).

وقد ترك لنا السلف رضوان الله عليهم منهجاً في طلب العلم، مما جعلهم القدوة لطلاب العلم وتوريث هديه لهم، لا سيَّما بعد معرفة الأجر المترتب على ذلك، فهؤلاء السلف "أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة"(٣) فحينما يتطلع المرء لمثل هذه النماذج فهذا لا يعني بالضرورة أن يرى في نفسه أنه قادر على أن يكون مثلهم أو أن يصل إلى منزلتهم، ولكن قد يضعهم نموذجاً أعلى له يسعى قدر الإمكان إلى الاقتراب من حالهم ولو لم يَصِرْ مثلهم.

---

(١) أخرجه الإمام الآجري في الشريعة برقم٤/ ١٦٨٥ (١١٦١) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٩٤٦، وذكره ابن القيم في أعلام الموقعين عن رب العالمين ٢/ ٣٠٨.

(٢) كما قال ذلك الإمام مالك تعالى، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٢٠٥.

(٣) ورد ذلك عن علي ﷺ في وصف أهل العلم فقد أخرج الأثر بطوله أبو نعيم في الحلية ١/ ٧٩، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٢٤٤.

فحين يقرأ الإنسان سيرهم تتعلق نفسه بهم ويحبهم، ويلهج بذكرهم، وهو وإن قصرت نفسه عن اللحاق بهم فإنه جدير بوعد النبي ﷺ: ((**المرء مع من أحب**))[١] [٢].

ومن مقاصد الشريعة وأهداف الدين: الدعوة إلى تفريغ طائفة من المسلمين؛ طلبة علمٍ وعلماءَ يدافعون عن الإسلام وحدوده، ويدعون إليه، ويبلغونه وينشرونه، ويحمون العلم من الذهاب ويُحيونه من الاندراس، ويعلمونه للجاهل، ويوقظون به الغافل واللاهي، وينذرون به قومهم لعلهم يحذرون.

وإن شرف العلم بشرف المعلوم، وطالب العلم قد طلب أمراً عظيماً لينال عظيماً، و"العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك"[٣] وهذا يتطلب التفرغ لطلب العلم.

جاء هذا البحث بعنوان: **الرحلة في طلب العلم أحكام وتنبيهات وتوجيهات**، محاولة لبيان منهج الإسلام في **الرحلة لطلب العلم**، وترك الأوطان والأهل من أجل البحث عن العلم، والتّفَرُّغ لتعلم رسالة الله، وتبليغها للناس، وذلك ضمن موسوعة [**منهج الإسلام في رعاية طلاب العلم**].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب علامة الحب في الله عز وجل (٦١٧٠)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب المرء مع من أحب (٢٦٤٠).

(٢) شباب الصحابة للدكتور محمد الدويش (١٣).

(٣) وردت هذه المقولة عن إِبْرَاهِيم بْن سيار أَبُو إِسْحَاق النظام، وغيره، ينظر: تاريخ بغداد٦/ ٦٢٣.

سبب اختيار الموضوع:

١. تنبيه العلماء والدعاة على الأمور التي يجب أن يربوا عليها الطلاب المرتحلين لطلب العلم.
٢. بيان أن الأصل في طلب العلم هو الارتحال إليه سواء كانت الرحلة في طلب العلم بعيدة أو قريبة، حيث إن العلم يُؤتى إليه ولا يَأتي، وغلب ذلك عليه حتى سُمّيَ من يريد العلم طالباً، أي: هو الذي يبحث عنه ويطلبه.
٣. تحفيز طلاب العلم على الرحلة في طلب العلم وبذل الجهد في ذلك.
٤. تنبيها لطلاب العلم المرتحلين - أو الذين يريدون الرحلة - إلى أخلاقيات وسلوكيات وأهداف يجب أن يتحلوا بها.
٥. ربط طلاب العلم بشريعة ربهم، والتزام هدي القرآن والسنة والسلف الصالح في كل أمورهم.

منهجية البحث:

المنهجية التي سلكتها في كتابة هذا البحث تتمثل في النقاط التالية:

- عزو الآيات المستشهد بها للسورة ورقم الآية عقب كل آية.
- الاعتماد على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في استنباط القواعد والأحكام والدلالات.
- الاعتماد على كتب التفسير بالمأثور خاصة للبحث في معاني الآيات، وعلى كتب التفسير عامة في صياغة البحث ومسائله.
- إيراد الأحاديث الصحيحة فقط، ولم نستشهد بحديث اتفق على ضعفه.

- الاعتماد في تصحيح الأحاديث على أقوال أهل الشأن في هذا المجال.
- الاجتهاد قدر الاستطاعة أن لا نذكر قاعدة ولا حكماً، إلا وندلل عليه من القرآن وما يفسره من السنة وأقوال أئمة السلف، وأفعالهم.
- عدم ذكر الخلاف في المسائل الفقهية قدر المستطاع.
- محاولة الفهم العميق، والإمعان القوي في نصوص الكتاب والسنة، والنظر في سيرة الأئمة الأعلام لاستخراج ذلك المنهج التربوي الرائد في الرحلة في طلب العلم.
- الاعتماد على كتب السير، والتاريخ، والتراجم في بيان نماذج من سلف الأمة في الرحلة لطلب العلم، سواء المتقدمة منها والمتأخرة، والتوثيق منها.

خطة البحث:

هذا البحث يشتمل على مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، وثبت المراجع، ثم فهرس الموضوعات.

وكان ذلك وفق الخطة التالية:

المقدمة: وتشتمل على سبب اختيار الموضوع، ومنهجية البحث، وخطة البحث.

الفصل الأول: مقدمات تأصيلية في الرحلة لطلب العلم:

المبحث الأول: فضل الرحلة في طلب العلم.

المبحث الثاني: أهمية الرحلة لطلب العلم.

المبحث الثالث: حكم الرحلة في طلب العلم.

المبحث الرابع: أحكام خاصة بالبلاد المرتحل إليها.

المبحث الخامس: صعوبات الرحلة في طلب العلم.

المبحث السادس: أركان الرحلة في طلب العلم.

الفصل الثاني: أهداف يجب أن تكون عند طالب العلم من رحلته:

المبحث الأول: الهدف الأول: أن يكون صالحاً في دينه وأخلاقه:

المطلب الأول: سلامة العقيدة.

المطلب الثاني: صحة العبادة.

المطلب الثالث: متانة الخلق.

المطلب الرابع: مجاهدة النفس.

المبحث الثاني: الهدف الثاني: أن يكون قدوة علمية وعملية في تخصصه.

المبحث الثالث: الهدف الثالث: أن يكون نافعاً للمسلمين خصوصاً وللناس عموماً:

المطلب الأول: أن يكون مصلحاً لغيره.

المطلب الثاني: أن يكون قدوةً.

المطلب الثالث: أن يكون قائداً.

المطلب الرابع: أن يكون إيجابياً.

المطلب الخامس: أن يكون مؤثراً.

المطلب السادس: أن يكون باذلاً للمعروف.

المبحث الرابع: الهدف الرابع: أن يحسن إدارة ذاته:

المطلب الأول: أن يكون قوياً محافظاً على صحته.

المطلب الثاني: أن يكون محافظاً على وقته.

المطلب الثالث: أن يكون مرتبا ومنظماً في أموره كلها.

المطلب الرابع: أن يكون قادرا على كسب معاشه.

الفصل الثالث: تنبيهات ووصايا لطالب العلم في غربته:

المبحث الأول: تنبيهات عامة لطالب العلم.

المبحث الثاني: تنبيهات لطالب العلم في علاقته بالعلماء.

المبحث الثالث: مفسدات الرحلة في طلب العلم.

المبحث الرابع: نموذج في وصية الحسن بن سفيان النسوي لطلابه.

الفصل الرابع: نماذج في الرحلة لطلب العلم:

المبحث الأول: نماذج من رحلات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

المطلب الأول: إبراهيم عليه السلام يهاجر إلى ربه يلتمس الهداية.

المطلب الثاني: موسى عليه السلام يرحل لطلب العلم.

المطلب الثالث: النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج.

المبحث الثاني: نماذج من رحلة الصحابة في طلب العلم.

المبحث الثالث: نماذج من رحلات التابعين وعلماء السلف في طلب العلم.

فهرس المراجع والمصادر.

فهرس الموضوعات.

والله سبحانه أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يلهمنا العلم النافع، والعمل الصالح، وأن يجبر تقصيري في هذا البحث، وأن يغفر ما كان فيه من خطأ وزلل، وأن يبارك في الطيب منه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أخوكم
أ.د. محمد بن عبدالعزيز العواجي
عضو هيئة التدريس بقسم التفسير كلية القرآن الكريم
الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

الفصل الأول

مقدمات تأصيلية في الرحلة لطلب العلم

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: فضل الرحلة في طلب العلم.

المبحث الثاني: أهمية الرحلة لطلب العلم.

المبحث الثالث: حكم الرحلة في طلب العلم.

المبحث الرابع: أحكام خاصة بالبلاد المرتحل إليها.

المبحث الخامس: صعوبات الرحلة في طلب العلم.

المبحث السادس: أركان الرحلة في طلب العلم.

تمهيد:

الرحلة في طلب العلم موضوع جدير بالاهتمام أشار إليه القرآن وتحدثت عنه السنة، وحث عليه العلماء، وطَبَّقوه؛ فلا تجد عالماً إلا وله رحلة قربت أم بعدت، طالت أم قصرت، وهذا يجعلنا نتساءل لماذا هذا الاهتمام الكبير بالرحلة في طلب العلم؛ حتى أن الإمام الخطيب البغدادي ألف كتابه: الرحلة في طلب الحديث، جمع فيه قصصاً ومواقفَ وتضحياتٍ وتنبيهاتٍ عن المرتحلين لطلب العلم.

وفي هذا الفصل سنعرض السبب في اهتمام السلف بالرحلة في طلب العلم

المبحث الأول

فضل الرحلة في طلب العلم

يتجلى فضل الرحلة في طلب العلم في ثماني مسائل، وهي:

أولاً: الرحلة في طلب العلم من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

إن الله عز وجل قد ذكر في جملة كتابه ثمانية عشر نبياً ثم أمر نبينا محمداً ﷺ بالاقتداء بهم، فقال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾[الأنعام ٩٠]، قال ابن جرير: "فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم: ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ يا محمد. أي: فاعمل وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضا، ومنهاج من سلكه اهتدى"[(١)] وكذلك قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب٢١].

وقال الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾.... ﴾ إلى قوله: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦٠ – ٦٦].

(١) جامع البيان للطبري ٩/ ٣٩١.

لقد رحل موسى عليه السلام رحلة طويلة، ولقي النصب في سبيل طلب العلم، وترك القعود عند بني إسرائيل عليه السلام لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك، فعن أبي بن كعب ﷺ قال: ((**بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل إذ جاءه رجلٌ فقال هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله عز وجل إلى موسى: بلى عبدنا خَضِر، فسأل السبيل إلى لقيه...**))[1]، وكان من خبرهما ما قصه الله علينا في سورة الكهف.

وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام، فقد حكى الله تعالى قصته، ومنها: قوله تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ ﴾ [العنكبوت٢٦].

يقول الشيخ السعدي: "إبراهيم عليه السلام هاجر إلى ربه ليدله إلى ما فيه الخير له، من أمر دينه ودنياه"[2]، فلا خير ولا وصلاح ولا هداية تحصل إلا بالعلم.

ثانيا: الأجر الكبير للمرتحل لطلب العلم:

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[العنكبوت: ٦٩].

قال الفضيل بين عياض: "والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به"[3].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى عليه السلام في البحر إلى الخضر (٧٤) وباب الخروج في طلب العلم (٧٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر عليه السلام (٢٣٨٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٧٠٥ بتصرف.

(٣) معالم التنزيل للبغوي ٦/ ٢٥٦.

فالجهاد أشمل من الجهاد بالسلاح، وإنما منه ما هو مجاهدةٌ للنفس، ومجاهدةٌ في طلب العلم والحق، ومجاهدةٌ في تعليم الناس، وكل ذلك ينطبق على طالب العلم، قال السعدي: "ومن الجهاد التخلي لطلب العلم الشرعي، والتجرد للاشتغال به"(١).

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول اللهّ ﷺ: ((**من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتّى يرجع**))(٢).

وعن أبي الدّرداء رضي الله تعالى عنه قال: "من رأى أنّ الغدوّ إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص في رأيه وعقله"(٣).

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم. وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض وكل شيء حتى الحيتان في جوف الماء. وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب. وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا ديناراً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**))(٤).

---

(١) تيسير اللطيف المنان لابن سعدي ص٨٠.

(٢) رواه الترمذي في كتاب العلم، باب فضل العلم (٢٦٤٧) وقال الترمذي حسن غريب، وأخرجه: الطبراني في الصغير١/ ٢٣٤ (٣٨٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حسن لغيره برقم (٨٨).

(٣) إحياء علوم الدين للغزالي١/ ٩.

(٤) رواه أبو داود كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٣١٥٧)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه في الدين (٣٦٠٦)، وابن ماجة في كتاب الفضائل، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢١٩). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٢٢٣)، وصحيح الترغيب والترهيب (٧٠).

وعن قبيصة بن المخارق ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ فقال لي: ((**يا قبيصة ما جاء بك؟**)) قلت: كبرت سني، ورق عظمي، فأتيتك لتعلمني ما ينفعني الله به، قال: ((**يا قبيصة: ما مررت بحجر ولا شجر ولا مدر إلا استغفر لك..**))[١].

قال معاذ رضي الله تعالى عنه: "تعلّموا العلم، فإنّ تعلّمه للهّ خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، وهو الأنس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين، والمصبِّر على البأساء والضراء، يرفع الله به أقواما؛ فيجعلهم في الخير قادة سادة، هداة يقتدى بهم، أدلة في الخير، تقتصى آثارهم وترمق أفعالُهم، يبلغ العبد به منازل الأبرار والدرجات العلا، والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الله عز وجل، وبه يعبد، وبه يوحد ويمجد، وبه يتورع، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال والحرام، وهو إمام والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء.."[٢].

ويكفي أن طالب العلم أراد الله به الخير، قال النّبيّ ﷺ: ((**من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدّين**))[٣].

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٦٠ رقم (٢٠٦٢١) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف لإبهام الراوي عن قبيصة بن المخارق.

(٢) أخرجه ابن نعيم في الحلية ١/ ٢٣٩. وقال ابن القيم: "رواه الخطيب وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل ورواه أبو نعيم في المعجم من حديث معاذ مرفوعا إلى النبي ﷺ ولا يثبت وحسبه أن يصل إلى معاذ" انتهى. انظر: مفتاح دار السعادة ١/ ١٢٠، والآجري في أخلاق العلماء برقم (٢٢).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٧١)،ومسلم في كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة(١٠٣٧).

ثالثا: فضل طلب العلم عامة في القرآن:

يظهر فضل الرحلة في طلب العلم ببيان فضل طلب العلم عموماً وهذا التفضيل له قسطٌ كبيرٌ في كتاب الله تعالى ومن ذلك:

١)**فأولو العلم قرناء الملائكة**: قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

٢) **والعلم أساس خشية الله**: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨].

٣) **والرفعة عند الله تعالى تكون بالعلم: قال تعالى**: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[المجادلة: ١١].

٤) **ولم يأمر الله تعالى نبيه أن يسأل الزيادة إلا من العلم**: قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[طه: ١١٤]. قال ابن القيم: "ولو لم يكن في العلم إلا القرب من رب العالمين، والالتحاق بعالم الملائكة وصحبة الملأ الأعلى، لكفى به شرفاً وفضلاً، فكيف؛ وعزُّ الدنيا والآخرة منوط به، مشروط بحصوله"[(١)].

٥) **والعلم يتميز أهله عن غيرهم**: قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[الزمر: ٩].

٦) **والواجب على الجاهل أن يتبع العالم**: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾[مريم: ٤٣].

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم١/ ١٠٨.

٧)وأمر الله الناس بالرجوع لأهل العلم: قال تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء: ٨٣].

٨) والتعليم يرفع قدر المتعلم ولو كان كلباً: قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۙ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤].

٩) وقد يدرك الأدنى من العلم ما لا يدرك الأعلى، ويتعلم الأدنى من الأعلى: قال تعالى في قصة سليمان والهدهد: ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ [النمل: ٢٢].

وقال تعالى في قصة ابني آدم حيث تعلم الإنسان من الغراب: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [المائدة: ٣١].

رابعاً: ترجيح طلب العلم على العبادات القاصرة على فاعلها:

فعن أبي أمامة الباهليّ ﷺ قال: قال رسول اللهّ ﷺ: ((**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**))[١].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٢٦٨٥)، وصححه الألباني.

وعن عليّ ﷺ قال: "العالم أعظم أجراً من الصّائم القائم الغازي في سبيل اللهّ، فإذا مات العالم انثلمت في الإسلام ثلمة لا يسدها شيء إلى يوم القيامة "[١].

وعن أبي ذرّ وأبي هريرة ﷺ قال: "باب من العلم نتعلَّمُه أحبُّ إلينا من ألف ركعة تطوّع"[٢]، وقال الشّافعيّ: "طلب العلم أفضل من النّافلة"[٣].

وقال القرطبيّ: "طلب العلم فضيلة عظيمة، ومرتبة شريفة لا يوازيها عمل"[٤].

وذلك لأنّ نفع العلم يعمّ صاحبه والمسلمين، والنّوافل المذكورة مختصّة بصاحبها، ولأنّ العلم مصحّح، فغيره من العبادات مفتقر إليه، ولا ينعكس، ولأنّ العلم تبقى فائدته وأثره بعد صاحبه، والنّوافل تنقطع بموت صاحبها.

خامسا: الرحلة في طلب العلم من أسباب مغفرة الذنوب ورفع البلاء عن الأمة:

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[التوبة ١٢٢].

نعم، إن طلبة العلم عندما يتعلمون ويعلمون فهم: ينذرون الناس عقاب الله، ويجعلونهم يأخذون حذرهم لكي لا يقع عليهم

(١) أخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع رقم(٣٤٧).

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر برقم (٩٧).

(٣) مسند الشافعي ص ٢٤٩ رقم (١٢٢٥)، إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ٩، معالم التنزيل للبغوي٤/ ١١٢.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي٨/ ٢٩٥.

عذاب الله، وذلك بالتمسك والعمل بما يتعلمونه من هؤلاء الدعاة.

عن زكريا بن عدي قال: رأيت ابن المبارك في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي برحلتي في الحديث[١].

وعن عبد الرحمن بن محمد بن حاتم قال بلغني أن إبراهيم بن أدهم قال: "إن الله تعالى يرفع البلاء عن هذه الأمة برحلة أصحاب الحديث"[٢].

والسبب في ذلك أن المرتحل لطلب العلم ينفع نفسه وينفع قومه حيث إنه يبلغهم وينذرهم ما يكون سبباً في هلاكهم، فإذا فعلوا ما يأمرهم به من الحق حصل لهم النجاة، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[هود١١٧].

سادسا: رحلة الصحابة في طلب العلم الذي به دخول الجنة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن وفد عبد القيس أتوا النبي ﷺ فقال: ((**من الوفد؟ أو من القوم؟**)). قالوا ربيعة فقال: ((**مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى**)). قالوا: إنا نأتيك من شُقّة بعيدة، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا **ندخل به الجنة**. فأمرهم بأربع ونهاهم عن أربع؛ أمرهم بالإيمان بالله عز وجل وحده قال: ((**هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟**)). قالوا: الله ورسوله أعلم قال: ((**شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول**

(١) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي١٧برقم (١٥)

(٢) المصدر السابق ١٦برقم (١٤).

الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وتعطوا الخمس من المغنم)). ونهاهم عن الدباء والحنتم والمزفت[١]... الحديث[٢].

سابعا: حضّ العلماء على استدامة طلب العلم ولو مع التّقدّم في السّنّ أو العلم:

قيل لابن المبارك: إلى متى تطلب العلم؟ قال: حتّى الممات إن شاء الله[٣].

وسئل سفيان بن عيينة: من أحوج النّاس إلى طلب العلم؟ قال: أعلمهم؛ لأنّ الخطأ منه أقبح[٤].

وسَأل الإمام أحمد أحد أصحابه ذات يوم: إلى متى تستمر في طلب العلم، وقد أصبحت إمامًا للمسلمين وعالمًا كبيرًا؟! فقال له: مع المحبرة إلى المقبرة[٥]، ومعنى ذلك أنه سيستمر في طلب العلم إلى أن يموت.

---

(١) وقوله: ونهاهم عن الدباء والحنتم. أي عن الانتباذ في هذه الأشياء. والدباء القرعة. والحنتم الحناتم: الجرار. والمزفت: الذي قد طلي بالزفت: وهو القار. والنقير: أصل النخلة ينقر فيتخذ منها ما ينتبذ فيه. وإنما نهاهم عن هذه الأواني لأن الشراب قد يغلي فيها ويصير مسكرا ولا يعلم به، لا أنها تحرم شيئا. انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي ٢/ ٣٨٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب تحريض النبي وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم (٨٧).

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ١/ ٤٠٦.

(٤) المصدر السابق ١/ ٤٠٧.

(٥) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٥٥.

ثامنا: فضل الرحلة في طلب العلم من حيث فوائدها:

قال الحافظُ الرامهرمزيُّ في بيانِ فوائدِ الرحلةِ في طلبِ العلمِ والمتعِ الحاصلةِ بها، ردّاً على من كرِه الرحلة وعابها: "ولو عرف الطاعن على أهل الرحلة مقدار لذة الراحل في رحلته، ونشاطه عند فصوله من وطنه، واستلذاذ جميع جوارحه عند تصرف لحظاته في المناهل والمنازل، والبطنان والظواهر، والنظر إلى دساكر الأقطار وغياضها، وحدائقها ورياضها، وتصفح الوجوه، واستماع النغم، ومشاهدة ما لم ير من عجائب البلدان، واختلاف الألسنة والألوان، والاستراحة في أفياء الحيطان، وظلال الغيطان، والأكل في المساجد، والشرب من الأودية، والنوم حيث يدركه الليل، واستصحاب من يحب في ذات الله بسقوط الحشمة، وترك التصنع، وكنه ما يصل إلى قلبه من السرور عن ظفره ببغيته، ووصوله إلى مقصده، وهجومه على المجلس الذي شمر له، وقطع الشقة إليه، لعلم أن لذات الدنيا مجموعة في محاسن تلك المشاهد، وحلاوة تلك المناظر، واقتناء تلك الفوائد، التي هي عند أهلها أبهى من زهر الربيع، وأحلى من صوت المزامير، وأنفس من ذخائر العقيان[(١)]"[(٢)].

"ومعلوم بالممارسة العقلية للناس أن للرحلة دوراً كبيراً في زيادة واتساع الخبرة والثقافة، وأخبر القرآن الكريم أن لقريش رحلتين في الصيف إلى الشام، وفي الشتاء إلى اليمن، قال تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾ [قريش: ١ - ٢] وامتن عليهم بتلك الرحلة وهي للتجارة فكيف إذا كانت للعلم..

وأمر الرحلة في طلب العلم من أسس بناء المنهج والتعلّم، وأنها متممة للشرح والمطالعة والاستذكار والمدارسة.

---

(١) العقيان: هو الذهب. انظر لسان العرب لابن منظور ٨/ ٢٩٥.

(٢) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي برقم(١٠١).

وفي الرحلة تجديد لحياة الطالب وخبراته، فانتقاله من مكان لآخر يغير من رتابة وطريقة حياته المعتادة مما يزيل عنه السأم والملل.

كما أنها تزيد في خبرة الطالب، وهذا ما أكد عليه علماء السلف من هذه الأمة حين قاموا بجمع العلوم من مصادرها المختلفة.

ومن فوائد الرحلات العلمية في زماننا هذا على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١ - تنمية فرص المشاهدة والتأمل التي لا يسهل تواجدها في المدرسة.

٢ - يتم تعلّم كثير من الأشياء في بيئتها الطبيعية.

٣ - تعويد الطالب التعاون، وتحمل المسئولية والنظام.

٤ - التعلم في جوٍ من الحرية والانطلاق، بخلاف جو الفصل»[(١)].

---

(١) مجلة الجامعة الإسلامية عدد (١١٠) بحث بعنوان الفكر التربوي في رسائل الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود وخطاباته للدكتور/ طارق بن عبد الله حجّار.

المبحث الثاني

أهمية الرحلة لطلب العلم

تتحدد أهمية الرحلة في طلب العلم في النقاط التالية:

١ - الرحلة في طلب العلم تؤدي إلى تحصيله والعمل به ونشره:

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة ١٢٢].

قال الألوسي: "لما بيَّن سبحانه وجوب الهجرة والجهاد، وكل منهما سفر لعبادة، فبعدما فضل الجهاد؛ ذكر السفر الآخر وهو الهجرة لطلب العلم، فضمير - يتفقهوا وينذروا - للطائفة المذكورة وهي النافرة"(١).

وعن الشعبي قال: "لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت أن سفره لا يضيع"(٢).

وعن محمد بن وزير الواسطي، قال: سمعت يزيد بن هارون، يقول لحماد بن زيد: "يا أبا إسماعيل، هل ذكر الله تعالى أصحاب الحديث في القرآن؟ فقال: نعم، ألم تسمع إلى قوله عز وجل: ﴿ فَلَوْلَا

---

(١) روح المعاني للالوسي ١١/ ٤٩

(٢) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ٢٨ برقم (٢٦).

نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ فهذا في كل من رحل في طلب العلم والفقه، ورجع به إلى من وراءه فعلمهم"[١].

٢ - تفرق العلماء في البلدان ولّد أهمية للارتحال لأخذ العلم عنهم:

لقد كانت الرحلة في طلب العلم في جيل الصحابة والتابعين، لأن أصحاب رسول الله ﷺ قد تفرقوا في الأمصار يحملون معهم العلم، فما كان ليتيسر لطالب العلم أن يحيط علماً بحديث رسول الله ﷺ دون رحلة في الأمصار ولقاء الصحابة المتفرقين فيها.

فالمقصود هو **تتبع العلماء لأنه لا يوجد عالم جمع كل العلوم**، فعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: "سألت أبي ﷺ عمن طلب العلم ترى له أن يلزم رجلاً عنده علم فيكتب عنه؟ أو ترى أن يرحل إلى المواضع التي فيها العلم فيسمع منهم؟ قال: يرحل يكتب عن الكوفيين والبصريين، وأهل المدينة ومكة، والشام، يلقى الناس يسمع منهم"[٢].

---

(١) المصدر السابق ١١ برقم (٩).

(٢) المصدر السابق ١٣ برقم (١١)

٣ - الرحلة ضرورية إذا قل أو انعدم العلماء في بعض البلدان:

فإن بعض البلدان لا يوجد فيها علماء لكي يتعلم منهم الناس ولكي يدخلوا في دين الله تعالى، فوجب أن يَنذر بعض المسلمين أنفسهم لطلب العلم ويذهبوا إلى البلدان التي يوجد بها العلماء فيطلبوا العلم وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، كما ورد في وفد عبد القيس المتقدم، وفيه أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: "إنا نأتيك من شُقّة بعيدة، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، ولا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر نخبر به من وراءنا **ندخل به الجنة**.."[(١)].

٤ - أهمية الرحلة في طلب علم من العلوم خاصة ولعلو السند:

كان للإسناد شأن كبير عند سلف الأمة، "فمن أكبر الأسباب الدافعة للرحلة عند علماء السلف هو جمع الحديث، لأن الحديث قد تفرق بتفرق الصحابة، وقد كانوا يرحلون لعلو السند"[(٢)].

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "والذي لا إله غيره، لقد قرأت مِنْ فِيِّ رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تبلغني الإبل إليه لأتيته"[(٣)].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) طالب العلم والرحلة - المنجد (شريط).

(٣) أخرجه الحميدي في مسنده ١/ ١٨٩(٢٨٤)، وأحمد في مسنده ٤/ ١٥٩ (١٧٤٩٠) وقال الأرناؤوط المرفوع منه صحيح لغيره، وفي الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ٩٤ برقم (٢٥).

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل، يقول: "سمعت أبي يقول: طلب علو الإسناد من الدين"[١].

وقد ألف الخطيب البغدادي كتاباً بعنوان: الرحلة في طلب الحديث، وذكر فيها نماذج كثيرة في ذلك.

ومن ذاك ما ورد عن عطاء بن أبي رباح قال: خرج أبو أيوب إلى عقبة بن عامر ﷺ، وهو بمصر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ، فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري، وهو أمير مصر فأخبر به فعجل، فخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيري وغير عقبة فابعث من يدلني على منزله، قال: فبعث معه من يدله على منزل عقبة، فأخبر عقبة به فعجل، فخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن. قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**من ستر مؤمنا في الدنيا على خزية، ستره الله يوم القيامة**)) فقال له أبو أيوب: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعا إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر[٢].

---

(١) للخطيب البغدادي ٩٨برقم (١٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد مختصرا ٢٨/ ٢٥٦ برقم (١٧٤٥٤) تعليق شعيب الأرناؤوط: المرفوع منه صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه فإن ابن جريج لم يدرك أحدا من الصحابة، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١/ ٣٩٢. الرحلة في طلب الحديث للخطيب ١١٨ برقم (٣٤)، وفي لفظ مسلم: ((من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة)) برقم (٢٦٩٩).

"وكان عبد الله بن سالم البصري الشافعي المالكي قد انتهى إليه في زمنه علو الإسناد، وكان يرد إليه طلب الإجازة من كل فج عميق، وكثر الأخذ عنه، حتى ارتُحِلَ إليه من كل مكان سحيق"[١].

٥ - أهمية الرحلة بسبب المسائل النازلة:

قد بوب البخاري باباً بعنوان: الرحلة في المسألة النازلة، وذكر تحته حديث عقبة بن الحارث ﷺ: أنه تزوج ابنة لأبي إهاب بن عزيز، فأتته امرأة فقالت إني قد أرضعت عقبة والتي تزوج، فقال لها عقبة ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني!! فركب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة فسأله، فقال: رسول الله ﷺ: ((**كيف وقد قيل**)). ففارقها عقبة ونكحت زوجا غيره[٢].

٦ - أهمية الرحلة من أجل ملازمة العلماء الكبار في فنهم:

قال خال بن خداش: "ودعت مالك بن أنس، فقلت: أوصني يا أبا عبدالله: قال: تقوى الله **وطلب الحديث** عند أهله"[٣].

وقال ابن سيرين: "إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم"[٤].

---

(١) عبد الله بن سالم البصري من أعلام المحدثين بالحرم الشريف تأليف: العربي الرائز الفياطري (٢٦١)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الرحلة في المسألة النازلة (٨٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/ ٣١٩.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي برقم(١٣٨).

وعن مالك بن أبي الزناد قال: "أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون، لا يؤخذ عنهم شيء من الحديث، يقال: ليس من أهله"[١]. فقد يكون في بلدٍ علماءَ؛ ولكن ليسوا ممن يوثق بعلمهم، فلا بد إذاً من الرحلة للعلماء الموثوق بعلمهم وهم أهلٌ له.

٧ - أهمية الرحلة من أجل التفرغ لطلب العلم:

إن من أفضل الطرق لجمع العلم والتفرغ له: الرحلة في طلب العلم؛ "لأن فيها قطع العلائق الشاغلة والعوائق المانعة عن تمام الطلب، ولذلك استحب السلف التغرب عن الأهل والبعد عن الوطن، لأن الفِكْر إذا توزع قصر عن دَرْكِ الحقائق وغموض الدقائق، والله تعالى يقول: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب ٤]"[٢].

وكان الصحابةُ رضوان الله عليهم إذا عجز أحدُهم عن تفريغ وقت لتحصيل القرآن الكريم والسنة مباشرة من فم رسول الله ﷺ أناب عنه من يُحصل ذلك فيجيئه به.

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: كنت أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد - وهي من عوالي المدينة - وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ، ينزل يوماً وأنزل يوماً، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك...[٣]، فكان كل واحد منهم يُفَرِّغُ أخاه يوماً ليرتحل إلى رسول الله ﷺ.

(١) المصدر السابق ١/ ١٤٠.

(٢) تذكرة السامع لابن جماعة (١٧٠) بتصرف يسير.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب التناوب في العلم (٨٩)

٨ - أهمية الرحلة في طلب العلم ومعرفة أهله حفاظاً على الدين:

وقد "كان للرحلة أثرٌ في شيوع علم السنة وتكثير طرق الحديث، كما كان لها أثرٌ في معرفة الرجال بصورة دقيقة، لأن المحدث يذهب إلى البلدة فيتعرف على علمائها ويخالطهم"(١).

قال الحاكم: "لولا كثرة طائفة المحدثين على حفظ الأحاديث، لاندرس منار الإسلام ولتمكن أهل الإلحاد والمبتدعة من وضع الأحاديث، وقلب الأسانيد"(٢).

٩ - أهمية الرحلة من حيث دورها في إزالة العصبية:

العصبية العلمية من أهم أسبابها ارتباط طالب العلم بشيخ واحد فقط أو مشايخ بلده، فلا يقول إلا ما قالوا ولا يرى إلا ما يرون، أما الرحلة في طلب العلم فإنها تساهم في إزالة هذا التعصب، لكثرة المشائخ وتنوع العقول، "فلولا الرحلة في طلب العلم لوجد لكل مدينة طابعها الخاص المميز لها، مما يسبب العزلة العلمية، ويذكي العصبية المحلية بين العلماء باتساع الخلاف على الأحكام. ولكن الحيوية والروح العلمية التي تحلى بها العلماء دفعتهم إلى جوب الآفاق وأخذ العلم من شتى المراكز الفكرية"(٣).

---

(١) الحركة العلمية في الحجاز في العصر الأموي، د. محمد آمحزون مجلة البيان عدد٥٦.

(٢) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ص ١٧.

(٣) الحركة العلمية في الحجاز في العصر الأموي، د. محمد آمحزون مجلة البيان عدد٥٦.

في الختام نرى التنبيه إلى أن التقنية الحديثة لها دور كبير في تقليل الحاجة للرحلة لطلب العلم.. من خلال الجامعات الالكترونية، والدورات التدريبية، والقراءة على المشائخ عن بعد وبث الدورات العلمية عن طريق الانترنت والبث المباشر.. مثل: أكاديمية زاد، وأكاديمية الراجحي،، وغيرها من الوسائل والبرامج..

وهي وإن كانت تسد ثغرة كبيرة في هذا الزمان لصعوبة التنقل بين الدول من الناحية الرسمية، لكنها لا تغني عن الرحلة في طلب العلم لأن مشقة السفر والجلوس بين يدي العلماء ومخالطة طلاب العلم لها أثرها الكبير في تكوين شخصية طلاب العلم.

المبحث الثالث

حكم الرحلة في طلب العلم

الرّحلة في طلب العلم مشروعة من حيث الجملة قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

فقد أَمَرَ الله تعالى بتخصيص قوم للرحلة والقيام لطلب العلم: قال ابن عاشور في معنى الآية: أي "أنه كما كان النفْرُ للغزو واجباً لأن في تركه إضاعة مصلحة الأمة؛ كذلك كان تركه من طائفة من المسلمين واجباً لأن في ذهاب جميع المسلمين للغزو إضاعة مصلحة للأمة أيضاً، **فأفاد مجموع الكلام أن النفْر للغزو واجب على الكفاية، أي على طائفة كافية لتحصيل المقصد الشرعي منه، وأن تركه متعين على طائفة كافية منهم لتحصيل المقصد الشرعي مما أمروا بالاشتغال به من العلم في وقت اشتغال الطائفة الأخرى بالغزو**.. ولذلك كانت **هذه الآية أصلاً في وجوب طلب العلم على طائفة عظيمة من المسلمين وجوباً على الكفاية**، أي على المقدار الكافي لتحصيل المقصد من ذلك الإيجاب.

وأشعر نفي وجوب النفْر على جميع المسلمين وإثباتُ إيجابه على طائفة من كل فرقة منهم بأن الذين يجب عليهم النفر ليسوا بأوفر عدداً من الذين يبقون للتفقه والإنذار، وأنْ ليست إحدى الحالتين بأوْلى من الأخرى على الإطلاق، فيعلم أن ذلك منوط

بمقدار الحاجة الداعية للنفر، وأنَّ البقية باقية على الأصل، فعلم منه أن النفير إلى الجهاد يكون بمقدار ما يقتضيه حال العدو المغزُو، وأن الذين يبقون للتفقه يبقون بأكثر ما يستطاع"[١].

قال القرطبي: "هذه الآية **أصل في وجوب طلب العلم**، لأن المعنى وما كان المؤمنون لينفروا كافة والنبي ﷺ مقيم لا ينفر فيتركوه وحده"[٢].

قال الشيخ ابن عثيمين: "طلب العلم الشرعي فرض كفاية إذا قام به من يكفي صار في حق الآخرين سنة، وقد يكون طلب العلم واجباً على الإنسان عيناً أي فرض عين، وضابطه: أن يتوقف عليه معرفة عبادة يريد فعلها، أو معاملة يريد القيام بها، فإنه يجب عليه في هذه الحال أن يعرف كيف يتعبد لله بهذه العبادة وكيف يقوم بهذه المعاملة، وما عدا ذلك من العلم ففرض كفاية، وينبغي لطالب العلم أن يشعر نفسه أنه قائم بفرض كفاية حال طلبه ليحصل له ثواب فاعل الفرض مع التحصيل العلمي. ولا شك أن طلب العلم من أفضل الأعمال، بل هو من الجهاد في سبيل الله"[٣].

وعلى هذا فإن "العلم إمّا أن يكون شرعيّاً، وهو المستفاد من الشّرع، أو غير شرعيّ:

أولا: طلب العلوم الشّرعيّة:

طلب العلوم الشّرعيّة مطلوب من حيث الجملة، ويختلف حكم طلبها باختلاف الحاجة إليها.

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ١١/ ٦٠ - ٦١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨/ ٢٩٣.

(٣) كتاب العلم لابن عثيمين الفصل الثالث - حكم طلب العلم.

فمنها ما طلبه فرض عين: وهو تعلّم المكلّف ما لا يتأدّى الواجب الّذي تعيّن عليه فعله إلاّ به، ككيفيّة الوضوء والصّلاة ونحوها، وحمل عليه بعضهم حديث أنس عن النّبيّ ﷺ: ((**طلب العلم فريضة على كلِّ مسلمٍ، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب**))[1].

ثمّ إنّ هذه الأشياء لا يجب طلبها إلاّ بعد وجوبها، ويجب من ذلك كلّه ما يتوقّف أداء الواجب عليه غالباً دون ما يطرأ نادراً، فإن وقع وجب التّعلّم حينئذ، فيجب على من أراد البيع أن يتعلّم أحكام ما يقدم عليه من المبايعات، كما يجب معرفة ما يحلّ وما يحرم من المأكول، والمشروب، والملبوس، ونحوها ممّا لا غنى له عنه غالباً، وكذلك أحكام عشرة النّساء إن كان له زوجة، ثمّ إذا كان الواجب على الفور كان تعلّم الكيفيّة على الفور، وإن كان على التّراخي كالحجّ فعلى التّراخي عند من يقول بذلك.

ومنها ما طلبه فرض كفاية: وهو تحصيل ما لا بدّ للنّاس منه

---

(١) رواه ابن ماجة افتتاح الكتاب، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم(٢٢٤)، قال الشيخ الألباني: صحيح دون قوله وواضع العلم الخ. صحيح سنن ابن ماجة (١٨٣)، وانظر: صحيح الجامع (٣٩١٣). والبيهقي في الشعب٢/ ٢٥٣(١٦٦)، وأخرجه ابن عبد البر في العلم ١/ ٩، قال السيوطي في شرحه على سنن ابن ماجة: «سئل الشيخ محيي الدين النووي عن هذا الحديث فقال إنه ضعيف وإن كان صحيحا وقال تلميذه الحافظ جمال الدين المزي هذا الحديث روى من طريق تبلغ رتبة الحسن وهو كما قال فإني رأيت له خمسين طريقا»١/ ٢٠.

في إقامة دينهم من العلوم الشّرعيّة كحفظ القرآن، والأحاديث، وعلومهما، والأصول، والفقه، والنّحو، واللّغة، والتّصريف، ومعرفة رواة الحديث، والإجماع، والخلاف...الخ

ومنها ما طلبه نفل: كالتّبحّر في أصول الأدلّة، والإمعان فيما وراء القدر الّذي يحصل به فرض الكفاية.

ثانيا: طلب العلوم غير الشّرعيّة:

يعتري طلب العلوم غير الشّرعيّة الأحكام التّكليفيّة الخمسة:

منها ما طلبه فرض كفاية: كالعلوم الّتي لا يستغنى عنها في قوام أمر الدّنيا: كالطّبّ، إذ هو ضروريّ لبقاء الأبدان. والحساب: فإنّه ضروريّ في المعاملات، وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها.

ومنها ما يعدّ طلبه فضيلةً: وهو التّعمّق في دقائق الحساب، والطّبّ، وغير ذلك ممّا يستغنى عنه، ولكنّه يفيد زيادة قوّة في القدر المحتاج إليه.

ومنها ما طلبه محرّم: كطلب تعلّم السّحر والشّعوذة والتّنجيم، وكلّ ما كان سبباً لإثارة الشّكوك، ويتفاوت في التّحريم"[(١)].

"فالعلوم الدنيوية كالهندسة والطب والفيزياء والكيمياء.. وغيرها من العلوم التي يخدم بها المسلم دينه وأمته فإن أقل ما يقال في حكمها هو الإباحة لأن الأصل في المنافع الإباحة، ويرتقي

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف في الكويت – فصل حكم طلب العلم ٢٩/ ٧٩.

للوجوب إذا عدم من يتقنه وكانت الحاجه إليه ووجود من يستطيع تعلمه، وذلك لأن تعلم تلك العلوم يجعل الأمة قوية عزيزة مهابة، وهذا واجب على الأمة وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فإذا قام من يفي بذلك عن الأمة سقط عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثم من يجد في نفسه القدرة على تحصيل تلك العلوم.

وبناء على ما سبق إذا لم يكن تحصيل تلك العلوم إلا بالرحلة إليها وبالمسلمين حاجة لتحصيلها، فيجب على من وجد في نفسه القدرة على تحصيل تلك العلوم أن يرحل لاكتسابها لأنه ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[١].

ومن جهة أخرى فإن "من بدهيات العقول ومسلمات العلم أن العلم الدنيوي والحكمة في الحياة عارية بين الأمم ومشترك بين الحضارات ومتداول بين الثقافات، وبالتالي لن تستغني أمة عن غيرها من الأمم ولن تستقل بأمرها"[٢].

وأختم بقول شيخ الإسلام بن تيمية: "الانتفاع بآثار الكفار والمنافقين في أمور الدنيا، جائز.. - إلى أن قال - فأخذ علم الطب من كتبهم مثل الاستدلال بالكافر على الطريق واستطبابه، بل هذا أحسن، لأن كتبهم لم يكتبوها لمعين من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة وليس هناك حاجة إلى أحد منهم بالخيانة، بل هي مجرد انتفاع بآثارهم كالملابس والمساكن والمزارع والسلاح ونحو ذلك"[٣].

---

(١) ينظر رسالة: أحكام الابتعاث للخارج في الفقه الإسلامي. د. حصة الرقيق ص٣٨.

(٢) رسالة في: مخاطر الابتعاث ومدى الحاجة إليه د. عوض القرني ص١.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١/ ١١٤ - ١١٤.

وعلى هذا:

١ - الرحلة في طلب العلم فرض كفاية على الأمة، فإذا احتاجت الأمة لعلم من العلوم ولن يتحصل إلا بالرحلة وجب على الأمة أن يرحل منها من يلبي العلم الذي تحتاجه في أمور دينها أو دنياها.

٢ - حكم الرحلة في طلب العلم يختلف باختلاف حال الشخص والعلم الذي يريد أن يتعلمه: فإن كان علم فرض لا يمكن تحصيله إلا بالرحلة **وجب** عليه الرحلة، ويأثم لو لم يرحل.

٣ - الرحلة مستحبة إذا كانت للزيادة في العلم فقط.

٤ - الرحلة في طلب العلم قد تكون مكروهة إذا كان الطالب في مكان فيه علم، وتألم أهله لفراقه.

٥ - وتكون الرحلة في طلب العلم محرمة إذا كان فيها تضييع للأولاد والأهل مع عدم وجود ما يوجب عليه الذهاب، أو إذا قصد به غير وجه الله تعالى كالافتخار بكثرة المشايخ والأسفار[١]، أو إذا ذهب في مكان لطلاب العلم لا يستطيع الحفاظ فيه على دينه.

(١) طالب العلم والرحلة - المنجد - شريط.

المبحث الرابع

أحكام خاصة بالبلاد المرتحل إليها

يمكن بيان هذا الأمر في النقاط التالية[١]:

أولا: الرحلة للبلاد الإسلامية لطلاب العلم:

الأصل في الرحلة لطلاب العلم للبلاد الإسلامية الإباحة طالما لا يوجد محظور شرعي لأن القاعدة الشرعية تقول: **الأصل في الأشياء الإباحة إلا ما دل الدليل على التحريم**[٢]، وثبت عن الصحابة والتابعين تنقلهم بين البلدان لتلقي العلم.

أما إذا ترتب على الابتعاث لإحدى البلاد الإسلامية محظور شرعي أيا كان فإنه يحرم على طالب العلم الارتحال لأن المسلم عليه أن يحافظ على دينه وأن لا يعرض نفسه للفتنة وأن لا يحضر أماكن اللهو والمنكر، وذلك حفاظاً على دينه لأن حفظ الدين مقدم على كل المصالح[٣]، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح[٤]، وهذا سواء كانت تلك الرحلة داخلية أو خارجية لدولة إسلامية أو مدينة تكثر فيها المنكرات.

---

(١) هذه المسألة دُرست هي وغيرها في رسالة ماجستير بعنوان: أحكام الابتعاث للخارج في الفقه الإسلامي، يمكن الرجوع إليها لمعرفة جميع الأقوال والأدلة ومناقشتها، وسأختصر هنا في بيان الراجح بالدليل لكي لا نخرج عن موضوع الرسالة.

(٢) ينظر: المنثور في القواعد الفقهية للزركشي ١/ ١٢٦.

(٣) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام للآمدي٣/ ٣٠٠.

(٤) ينظر: شرح القواعد الفقهية لمحمد الزرقا ١/ ١٦٥.

مع التنبيه إلى أن الارتحال لطلب العلم حتى للبلاد الإسلامية لا بد أن يكون للضرورة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الإقامة في كل بلد تكون الأسباب فيه أطوع لله ورسوله وأفعل للحسنات والخير، بحيث يكون المسلم أعلم بذلك وأقدر عليه، وأنشط له، أفضل من الإقامة في موضع يكون حاله في طاعة الله ورسوله دون ذلك"[١].

ثانيا: حكم السفر لبلاد الكفر عموماً:

اتفق العلماء على تحريم السفر لبلد غير إسلامي لغير ضرورة[٢] أو حاجة[٣]، فالأصل تحريم السفر لبلاد الكفر[٤] واستدلوا بأدلة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء: ٩٧].

---

(١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ٢٧/ ٣٩.

(٢) الضرورة هي: الأمور التي لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، وهي حفظ الدين والعقل والنفس والنسل والمال، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وفوت حياة، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران، ينظر: الموافقات للشاطبي ٢/ ٩ - ١٠.

(٣) الحاجة هي: ما يفتقر إليه من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج، والمشقة اللاحقة بفوت المصلحة فإذا لم تراع دخل على المكلفين -في الجملة- الحرج والمشقة. ينظر: الموافقات للشاطبي: ٢/ ١١.

(٤) ينظر: الشرح الكبير ١/ ٥٦١ لعبدالرحمن بن قدامة المقدسي، والفتاوى الهندية، إعداد لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي ٥/ ٣٦٦، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لشمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ٣/ ٢٦٠، وغيرها..

وقول النبي ﷺ: ((**أنا بريء ممن يقيم بين ظهراني المشركين**))[١].

وقوله - ﷺ - لجرير بن عبد الله - رضي الله عنه - حين أسلم، وقال له: بايعني واشترط: فقال رسول الله - ﷺ - : ((**تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتفارق المشركين**))[٢].

فالأصل من خلال هذه الأدلة تحريم السفر لبلاد الكفار، ومن باب الضرورة يجوز السفر لبلاد الكفار إذا قدر على إظهار دينه لمن عنده علم يدفع به الشبهات، ودين يدفع به الشهوات. وهو قول الحنفية والشافعية[٣].

يقول الشيخ ابن باز: "لا يجوز للمسلم السفر إلى بلاد المشركين أو الإقامة بين ظهرانيهم من غير ضرورة إلا لعارف بدينه بأدلته الشرعية يستطيع الدعوة إليه والذب عن الشبه التي ترد عليه ويقوم بأداء الواجبات الشرعية"[٤].

وأصحاب هذا القول رأوا إعمال القواعد الشرعية التي تخفف

---

(١) جامع الترمذي، في كتاب السير، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين برقم (١٦٠٤)، وسنن النسائي في كتاب القود، باب القود بغير حديدة برقم (٤٧٨٤). وسنن أبي داوود في كتاب الجهاد باب النهي عن قتل من اعتصم بالسجود برقم (٢٦٤٥). وقال الألباني: إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين لكنهم أعلوه بالإرسال، ينظر: إرواء الغليل٥/ ٢٩ - ٣٠.

(٢) سنن النسائي في كتاب البيع، باب البيعة على فراق المشركين برقم (٤٠٨٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي٣/ ١٢٥.

(٣) ينظر: المبسوط للسرخسي ١/ ٨٩، والأم للشافعي ٧/ ٣٦١.

(٤) مجموع فتاوى ابن باز ٤/ ١٩٨.

على المسلم، ودفعا للضرورة التي تلبس بها، لقوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

ومن القواعد الشرعية: الضرورات تبيح المحظورات[١]، والمشقة تجلب التيسير[٢].

فمن المعلوم أنه لا يوجد أمة تستغني عن غيرها، وأن الله تعالى فضل بعض الأمم على بعض بتقدم علمي أو تقني أو غير ذلك، قال تعالى: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾ [الزخرف: ٣٢].

وإذا تقرر هذا فالحاجة موجودة للاستفادة من تلك الأمم، وعند الحاجة يباح المحظور للأمور السابقة وبالضوابط السابقة.

ثالثاً: حكم الارتحال للبلاد غير الإسلامية لطلب العلوم الحياتية:

ذهب جمع من الفقهاء والباحثين المعاصرين[٣] إلى جواز الارتحال للبلاد غير الإسلامية لكن بضوابط.

---

(١) الأشباه والنظائر للسبكي ١/ ٤٥.

(٢) الأشباه والنظائر للسيوطي ١/ ٨٨.

(٣) منهم اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، والشيخ حمد بن عتيق، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ صالح الفوزان، والشيخ علي الطنطاوي، وغيرهم..

ونجمل تلك الضوابط في النقاط التالية[١]:

١ - أن يكون بالأمة حاجة ملحة لهذا العلم الذي ارتحل من أجل تحصيله، ولا يمكن تعلمه في بلده، أو في بلد إسلامي.

٢ - أن يكون لديه من العلم ما يمكنه من دفع الشبهات والتمييز بين الحق والباطل.

٣ - أن يكون عنده دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق والشهوات.

٤ - أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد، فيختار من كان صلب الدين قوي الإرادة متقدما في السن محصناً من التأثر.

٥ - أن يكون قادراً على إظهار دينه والمجاهرة بخصائص المسلمين.

٦ - أن يكون الطالب المرتحل متزوجا، وأن يأخذ زوجته معه.

٧ - أن يحاط الطالب في البلد الذي ارتحل إليها إليه بالجو الإسلامي الذي يذكره إذا غفل ويعينه إذا تذكر.

---

(١) هذه الضوابط مجموعة من: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١٢/ ١٣٨ - ١٣٩، فتاوى المسافرين والمغتربين ص٣٤ - ٣٦، وهداية الطريق في رسائل وفتاوى بن عتيق ص١١٩، والمنتقى في فتاوى الشيخ صالح الفوزان١/ ٢٥٧ - ٢٥٨، وفتاوى الشيخ على الطنطاوي١/ ١٤١، وفتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز٢٤/ ٤٦، والابتعاث ومخاطره لمحمد لطفي الصباغ ص٦.

واستدل العلماء على الجواز بالضوابط السالفة بالقياس على سفر بعض الصحابة رضوان الله عليهم إلى بلاد الكفار كالشام ومكة – في ذلك الوقت – لأجل التجارة، وعدم إنكار النبي – ﷺ – عليهم ذلك[١]، وهذا دليل على جواز دخول بلاد الكفر لغرض صحيح أو حاجة ملحة[٢].

وكذلك حاجة الأمة المسلمة إلى مواكبة العصر، ومشاركة أهله العيش في قضاياه، ولا يمكنها ذلك إلا بالابتعاث لاكتساب العلوم الدنيوية التي لا يمكن اكتسابها في بلاد الإسلام.

وورد في فتوى اللجنة الدائمة: "فلا يجوز السفر إلى الدول الكافرة للدراسة بها، إلا فيما لا يتيسر لك دراسته على المسلمين في البلاد الإسلامية من العلوم الدنيوية، كالطب والهندسة ونحوهما، ولم يتيسر استقدام من يُضطر إليه من المتخصصين الأمناء في العلوم الكونية إلى الدولة الإسلامية للقيام بتدريسها للطلاب المسلمين، وكانت أمتك مضطرة إلى هذه العلوم، لتكتفي بأبنائها بعد التخرج في القيام بما تحتاج إليه عن استقدام كفار يقومون به، وكنت في

---

(١) فقد ورد في السنة: أن أبا بكر – رضي الله عنه – كان رديف النبي – ﷺ – بين مكة والمدينة وكان يُعرف، وكان النبي – ﷺ – لا يعرف وذلك لاختلاف أبا بكر إلى الشام.. أخرجه أحمد في المسند من حديث أنس بن مالك ٢١/ ٥٤١ وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، ورجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة فمن رجال مسلم.

(٢) ينظر فتوى حكم السفر إلى بلاد الشرك لسليمان بن عبد الوهاب، تحقيق: د. وليد الفريان، مجلة البحوث العدد٢٥ ص٢١٠.

نفسك مُحصّناً في دينك بالثقافة الإسلامية، ولا يخشى عليك من الفتن أيام دراستك في بلاد الكفار، وإقامتك مدة الدراسة بين أظهرهم، فيجوز لك حينئذ أن تسافر للدراسة في بلاد الكفار"[١].

رابعا: الارتحال للبلاد غير الإسلامية لدراسة العلوم الإسلامية:

أما الارتحال للبلاد غير الإسلامية لدراسة العلوم الإسلامية فقد نبه العلماء على عدم جوازه[٢]، وذلك لأن السفر إلى بلاد الكفر إنما أبيح للضرورة أو الحاجة ولا حاجة في أخذ العلوم الشرعية من الكفار، ولأن في ذلك ضرر على الطالب وعلى دينه ومعتقده حيث إن الكافر ليس أهلاً لتدريس تلك العلوم وليس مؤتمنا عليها فلا يجوز تلقيها منه. أما تعلم العلوم الدنيوية فما كان غير ضار فللمسلم أن يتعلم منه بقدر حاجته وحاجة أمته[٣].

والخلاصة: جواز الارتحال لبلد غير إسلامي للدراسة وفق حاجة الأمة المسلمة لتحصيل العلوم النافعة التي يتعذر تحصيلها في بلاد الإسلام مع إعداد الطلاب المرتحلين لتلك البلاد وتأهيلهم، مع ضرورة انطباق الشروط التي اشترطها العلماء، فإذا زالت الشروط وجب الرجوع للأصل وهو التحريم لضررها على الدين والخلق والثقافة.

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١٢/ ١٣٨ - ١٣٩

(٢) ينظر: الفتاوى الهندية ٥/ ٣٦٦، والمبسوط للسرخسي ١/ ٨٩، والاستذكار للنووي ٥/ ٥٧، والأم للشافعي ٧/ ٣٦١، والشرح الكبير لابن قدامة ١/ ٥٦٥...

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء١٢/ ٨٨.

خامساً: ارتحال المرأة لطلب العلم في البلاد غير الإسلامية:

أما من حيث ارتحال المرأة للدول الغير إسلامية فقد أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية بالمنع من ذلك منعاً باتاً وبينت المخرج عند الحاجة فقالت: "منعُ ابتعاثِ البناتِ للخارجِ منعاً باتاً لا استثناءَ فيه، ومَن كانت مُتجاوزةً مرحلةَ الدراسةِ العاليةِ وفي تخصُّصها مصلحةٌ مُحَقَّقةٌ للأمةِ، فإنَّ على الدولةِ وفَّقها اللهُ تهيئةَ الوسائلِ اللازمةِ لذلكَ في داخلِ المملكةِ.. لأنَّ سَفَرَ المرأةِ للدراسةِ في الغالبِ تربُو مفاسدُه على مصالحِه، **ودفعُ المفاسدِ مُقدَّمٌ على جلبِ المصالحِ**، ويتعيَّنُ عدَمُ السماحِ لأيِّ إنسانٍ أن يَبعثَ بنته أو مَن له عليها ولايةٌ للدِّراسةِ في الخارجِ، سواءً في البلادِ المجاورةِ أو بلادِ الغربِ، ولو على حسابِه الخاصِّ، لأنَّ الأخذ على يَدِ مثلِ هؤلاءِ فيه نجاةِ الجميعِ"[(١)].

وأما القول بالضرورة، فإن الضرورة تُقدَّر بقدرها، ولها ضوابطها، فقد حدَّها بعض العلماء المعاصرين للرجال في أضيق الحدود - كما مر بنا -، وللتخصصات النادرة، فلا يصح أن تسافر الفتيات المسلمات إلى بلاد المشركين لتلقي العلم، بدعوى التطور والانفتاح، فإن الانفتاح على العالم شيء، وضياع الشخصية القويمة شيء آخر.

وهذا الأمر قد عمت به البلوى، ولذا فإن لم يُستَطَع منع هذا فإنه يجب الالتزام بالضوابط الآتية لابتعاث المرأة تخفيفاً للمشكلة وهي:

١ - "أن تكون هناك ضرورة أو حاجة شرعية أو مصلحة مؤكدة في ابتعاثها.

(١) قرار هيئة كبار العلماء رقم (٨٨) وتاريخ ١١ - ١١ / ١٤٠١هـ.

٢ - أن تلتزم العفة والحياء والحجاب الشرعي الساتر.

٣ - وجوب مرافقة المحرم لها في سفرها وفي إقامتها إن خشي عليها من الفتنة والأذى، لقوله عليه الصلاة والسلام: **((لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها حرمة))**[(١)].

٤ - الأمن من الفتنة سواء افتتانها هي بغيرها أو فتنتها لغيرها"[(٢)].

"فالمبتعثات يجب أن تكون هناك رعاية خاصة لهن، ولابد من توفر الضوابط الشرعية؛ من وجود محرم واختيار الكفاءات، واشتراط وجود المحرم مع المرأة ليس ليكون رقيبًا عليها لعدم الثقة بها ولكن ليكون حارسًا وحاميًا لها؛ حتى لا تتعرض لأي عدوان من الآخرين، فنحن نريد أن ننقل تفوّق المرأة المسلمة وشخصيتها وإنسانيتها وحضورها"[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب كم يقصر الصلاة.. برقم(١٠٨٨)، ومسلم في كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره برقم(١٣٣٩).

(٢) ينظر: أحكام الابتعاث للخارج في الفقه الإسلامي ص٧٨ - ٧٩ باختصار.

(٣) لقاء مع الشيخ سلمان العودة على قناة mbc الفضائية في برنامج الحياة كلمة بعنوان الابتعاث الخارجي، منشور مفرغ على موقع الإسلام اليوم.

المبحث الخامس

صعوبات الرحلة في طلب العلم

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴾ [البلد: ٤]. عن الحسن قال: "يكابد أمراً من أمر الدنيا، وأمراً من أمر الآخرة - وفي رواية: يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة"(١).

وقال الألوسي: "في تعب ومشقة فإنه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح إلى حين نزعها وما وراءه"(٢).

نعم إن الإنسان خلق "في مكابدة ومشقة، وجهد وكد، وكفاح وكدح كما قال في السورة الأخرى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾[الانشقاق: ٦].

إن هذا الكبد في الحياة الدنيا «تختلف أشكاله وأسبابه، ولكن أخسر الخاسرين هو من يعاني كبد الحياة الدنيا لينتهي إلى الكبد الأشق الأمرّ في الأخرى، وأفلح الفالحين من يكدح في الطريق إلى ربه ليلقاه بأعمال مرضيات، تُنْهي عنه كبد الحياة، وتنتهي به إلى الراحة الكبرى في ظلال الله.

وكذلك الذي يكدح وهو طليق من أثقال الطين، أو للانطلاق من هذه الأثقال، ليس كالذي يكدح ليغوص في الوحل ويلصق بالأرض كالحشرات والديدان! والذي يموت في سبيل دعوة ليس

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٤٠٣.

(٢) روح المعاني للألوسي ٣٠/ ١٣٥.

كالذي يموت في سبيل نزوة، ليس مثله في خاصة شعوره بالجهد والكبد الذي يلقاه".

وعلى هذا ففي كل عمل يقوم به الإنسان صعوبات، وإذا نظرنا إلى الرحلة في طلب العلم نجدها قد حازت على كثير من الصعوبات، ولكن علماء السلف - كما سنرى - لم توقفهم هذه الصعوبات التي سنذكرها ولا غيرها على مواصلة طلب العلم، وعلى طالب العلم وخصوصاً المرتحل أن يوجد الحلول المناسبة لمشكلاته الخاصة به، وعلى مشايخه وأهله وزملائه إعانته على تجاوز وحل تلك الصعوبات، بل وعلى المجتمع والأمة ككل تذليل الصعوبات ومحاولة القضاء عليها لكي تقوم الأمة بواجبها المنوط بها.

ويمكن إجمال صعوبات الرحلة في طلب العلم في الأمور التالية:

١ - ضعف اللغة العربية لغير الناطقين بها.

٢ - بُعْد الأماكن القادمين منها.

٣ - مشقة السفر.

٤ - مفارقة الأهل وخصوصاً الوالدين والزوجة والأولاد.

٥ - اختلاف البيئات الجغرافية، والمناخية.

٦ - اختلاف العادات والتقاليد.

٧ - ضعف توفر الكفالة المالية.

٨ - تفرق العلماء في الأقطار.

٩ - اختلاف مناهج التعليم.

١٠ - اختلاف المناهج الفكرية.

١١ - كثرة الطلاب وقلة العلماء الربانيين.

١٢ - ضعف معرفة الطالب بأولويات العلوم، وما يحتاجه فيها على سبيل الأولية له ولأهل بلده.

١٣ - ضعف المعرفة بالعلماء.

١٤ - عدم قناعة الأبوين بالرحلة، لعدم معرفتهما بقيمة العلم والرحلة، أو لخوفهما على الطالب.

١٥ - صعوبة كفالة الأسرة عند سفر الطالب.

١٦ - عدم تقدير بعض العلماء لحاجة هؤلاء المرتحلين، ومعرفة قدرهم عند أقوامهم، وذلك لعدم معرفتهم بهم، أو ببلادهم، أو بهما معاً.

وفي ضوء ما سبق فإن الرحلة في طلب العلم تحتاج إلى مجاهدة وبذل، فعلى طالب العلم أن يجاهد ويصبر ويوجد الحلول المناسبة ولا يتوقف مهما كان الأمر امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

"قال الحسن البصري: أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم، وهو الإسلام، فلا يدعوه لسرّاء ولا لضرّاءَ ولا لشِدَّة ولا لرِخَاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم"[(١)].

فليكن شعار طالب العلم الصبر على مشاق الرحلة، والرباط على ثغر طلب العلم الذي به يحمي أمته من الضلال والبدع والجهل، فهذه سنة الله؛ في البلاء والتمحيص، لينال العلم أهله، ويفوز بالجنة أهلها.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/ ١٩٥.

المبحث السادس

أركان الرحلة في طلب العلم

الرحلة في طلب العلم طاعة وعمل عظيم في قدره وفي دوره وفي نتائجه وفي موضوعه، وهذا العمل له أركانه التي يقوم عليها، وإذا اختل ركن من هذه الأركان أو انعدم فلن تتحقق أهدافها، ولن تأتي ثمارها كما أُريدَ منها. وهذه الأركان هي:

الركن الأول: المرتحل: وهو طالب العلم.

الركن الثاني: المرتحل إليه: وهو الشيخ أو المؤسسة العلمية.

الركن الثالث: مكان الرحلة: وهو الجهة الجغرافية المرتحل إليها.

الركن الرابع: منهج الرحلة: وهي المناهج والمواد التربوية والعلمية التي سيتحصلها الطالب في رحلته.

وسيكون الحديث عن هذه الأركان بصورة إجمالية هنا حيث سيتم الحديث عنها بتفصيل لبعضها في هذا البحث وبعضها في بحوث منفصلة. ملحقة بهذه السلسلة من البحوث في رعاية طلاب العلم.

الركن الأول: المرتَحِلُ:

أولًا: مكانة طالب العلم المرتحل:

تتحدد مكانة طالب العلم المرتحل في وصف النبي ﷺ له بالمجاهد في سبيل الله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول اللهّ ﷺ: ((من

خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتّى يرجع))[١].

وهو الذي قال عنه رسول الله ﷺ: **((من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر))**[٢].

ويكفي أن طالب العلم أراد الله به الخير، قال النّبيّ ﷺ: **((من يرد الله به خيراً يفقّهه في الدّين))**[٣].

ثانياً: تنبيهات يجب أن تكون في طالب العلم المرتحل:

تتمثل هذه التنبيهات في عشرة شروط وهي إجمالاً على ضربين[٤]:

---

(١) رواه الترمذي في كتاب العلم، باب فضل العلم (٢٦٤٧) وقال الترمذي حسن غريب، وأخرجه: الطبرانى فى الصغير١/ ٢٣٤ (٣٨٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حسن لغيره برقم (٨٨).

(٢) رواه أبو داود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٣١٥٧)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه في الدين (٣٦٠٦)، وابن ماجه في كتاب الفضائل، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (٢١٩). وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة (٢٢٣)، وصحيح الترغيب والترهيب (٧٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين (٧١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة(١٠٣٧).

(٤) سنعرض هنا لتلك الشروط إجمالًا وسيتم الحديث عنها بتفصيل في مبحث تنبيهات لطالب العلم في رحلته.

١ - تنبيهات قبل الرحلة:

الإخلاص لله في الرحلة، ثم النظر لمدى حاجته وحاجة أمته إليه في هذا السفر، ثم قبل أن يعزم على السفر عليه استخارة الله تعالى واستشارة أهل العقل والحكمة من العلماء والصالحين، ثم استئذان الأبوين.

٢ - تنبيهات أثناء الرحلة:

الاجتهاد في التحصيل العلمي، والأخذ عن العلماء الموثوق بعلمهم، والاهتمام بالقرآن وبالعبادات،

والصبر على العلم والتعلم، وعدم الانشغال بغير العلم، والقناعة في الدنيا، والعفة عما في أيدي الناس، وعدم تدخل الطالب فيما لا يعنيه، وترك السؤال فيما لا يفيده، وبذل المال في سبيل الطلب، والعمل بالعلم، والتعاون مع طلاب العلم، ومحبة العلماء.

ثالثاً: ماذا يراد من طالب العلم أن يكون من خلال رحلته[١]:

طالب العلم المرتحل قد تَحمَّل حِمْلاً كبيراً؛ فالأمة تنتظره، أن يرجع إليها، وهو سليم العقيدة، صحيح العبادة، متين الخلق، مثقف الفكر، قوي الجسم، محافظاً على وقته، منظماً في شؤونه، قادراً على كسب معاشه. لكي لا يكون عالة على أمته.

يرجع إليهم وهو: قدوة عملية، ومرجعية علمية، متخصص

---

(١) سنعرض هنا لتلك الشروط إجمالًا وسيتم الحديث عنها بتفصيل في مبحث أهداف يجب أن تكون عند طالب العلم في رحلته.

فيما برع فيه، نافعاً لهم في أمورهم الدينية والدنيوية، يرجع إليهم: قائداً، إيجابياً، مؤثراً، باذلاً للمعروف.

فهذا هو طالب العلم الذي لا بد أن يكون، والذي تنتظره الأمة.

الركن الثاني: المرتحل إليه:

وهو الشيخ أو المؤسسة التعليمية، أو المؤسسة الخيرية الداعمة لرحلة طالب العلم، وتوضيح ذلك في النقاط التالية:

أولًا: الشيخ المرتَحل إليه:

وهذا هو الأصل في الارتحال لطلب العلم عند السلف، فقد كان الصحابة ﷺ يرتحلون إلى رسول الله ﷺ طلباً للعلم، ثم كان الصحابة ﷺ يرتحلون لبعضهم البعض وعلى نهجهم كان السلف عموماً.

وكان لعلماء السلف دور كبير في رعاية طالب العلم في رحلته، حيث أن الطالب يمكث عند شيخه الأيام والشهور، بل والسنوات فيكون الشيخ بمثابة الكافل والراعي له.

فللشيخ دور كبير في رعاية طالبه المرتحل إليه، فهو يرعاه من الناحية التربويّة الأخلاقيّة والعلميّة، ومن الناحية الاجتماعيّة والمادية، والنفسيّة وبذلك يكون الشيخ قد قام برعاية طالبه على أكمل وجه، وليرجع الطالب عالماً يقتدي بشيخه، وتقتدي به أمته[١].

---

(١) سيتم الحديث بالتفصيل عن هذه النقطة في بحث آخر منفصل ضمن هذه السلسلة بعنوان: مهام ومسؤوليات رعاية طلاب العلم، عند مبحث دور المشايخ والعلماء في رعاية طلاب العلم.

وهذا الشيخ لا بد أن تتوفر فيه صفات معينة ومن أهمها الإخلاص لله تعالى والأخذ بالسنة والعمل بها، مع قوة العلم في تخصصه وفهمه لواقعه واستشرافه للمستقبل وغيرها من الصفات.

ثانياً: المؤسسة التعليمة المرتحل إليها:

لما اتسعت رقعة العالم الإسلامي؛ وكثر طلاب العلم، وظهرت المدارس العلمية في الكوفة والبصرة ومصر والشام، وكذلك في الأندلس وغيرها من البلدان، بدأ كثير من طلبة العلم يرتحلون للدراسة في تلك المؤسسات التعليمة، وتطورت تلك المؤسسات حتى وقتنا الحاضر، وكثرت المنح والبعثات التعليمة.

فكثرت المدارس والمعاهد بأنواعها، والمساجد والخلاوي والأربطة، والجامعات والكليات والأروقة، ودور تحفيظ القرآن.

وهذه المؤسسات تقوم بدور كبير فعال في رعاية وبناء طلاب العلم في جميع النواحي العلمية والتربوية والاجتماعية، وتوفر لهم سبل الطلب والتفرغ للعلم والبحث[١].

ولكن لا بد لطالب العلم أن يسأل ويستشير عن تلك المؤسسة التعليمة، وخصوصاً في الوقت الحاضر الذي كثرت فيه مؤسسات تعليمية تحارب الإسلام وإن تسمت به.

---

(١) سيتم عرض بعض النماذج لتلك الجهات ضمن بحوث هذه السلسلة تحت بحث بعنوان: الجهات الخيرية المعاصرة ودورها في رعاية طلاب العلم.

ثالثاً: المؤسسة الخيرية الداعمة لرحلة طالب العلم[١]:

وهذه الجهات دورها هو الكفالة لطلاب العلم، وتوجيههم ورعايتهم من جميع النواحي، وإعداد البرامج والدورات العلمية والتربوية، أو كفالة دراستهم في المعاهد والجامعات، أو: إرسالهم كبعوث للدراسة في مؤسسات تعليمية أخرى خارج بلدانهم، ثم بعد ذلك متابعتهم بعد تخرجهم والانتهاء من رحلتهم، بهدف نشر الدين الإسلامي، وتصحيح المفاهيم الإسلامية عند المسلمين وغيرهم.

الركن الثالث: مكان الرحلة:

وهو الجهة الجغرافية المرتحل إليها: ويشترط فيها:

١ - أن لا تكون بلاد كفر ما لم يكن العلم المطلوب متوفرا إلا بها.

٢ - أن يكون فيها علم لا يوجد عند أهل بلده.

٣ - أن تكون في بلد يشتهر بنشر السنة الصحيحة.

٤ - النظر إلى استطاعة الطالب الحياة في تلك البلاد، من حيث إجراءات الإقامة النظامية، وتكلفة الحياة في البلد، ومتى تعاون أهل البلد مع طلاب العلم.

٥ - النظر في قرب البلد وبعدها عن بلده، فكلما كان البلد أقرب كان أفضل.

---

(١) سيتم عرض بعض النماذج لتلك المؤسسات التعليمية ضمن بحوث هذه السلسلة تحت بحث بعنوان: نماذج معاصرة في رعاية طلاب العلم عند فصل بعنوان: نماذج معاصرة للمؤسسات في رعاية طلاب العلم.

الركن الرابع: منهج الرحلة:

وهو المناهج والمواد التربوية والعلمية التي يحصلها ويتعلمها الطالب في رحلته. **ويشترط فيها**: مراعاة مستوى الطالب، والتدرج، واعتماد منهج أهل السنة والجماعة.

ويجب أن يركز الطالب في رحلته - خصوصاً إذا طالت - على التنوع في منهجه في الرحلة، وفي بناء شخصيته، ويركز على ثلاثة أمور:

التأهيل التربوي: ويتمثل التربية في جانب العقيدة والعبادة والسلوك والأخلاق.

التأهيل العلمي: ويتمثل في التأصيل العلمي، وشحذ الهمم وتوجيه الطاقات نحو فنون العلم المختلفة والتميز في التخصص، وتوفير أدوات العلم والبحث.

التأهيل الدعوي والمهاري: ويتمثل في: إتقان التعامل مع مصادر المعرفة، وتنمية البناء العقلي، وإتقان مهارات التعلم الذاتي، وتنمية عادات العمل الجيد، والنجاح الدنيوي، والتهيئة لسوق العمل، وإتقان اللغة، ومهارات الدعوة وفنونها وأساليبها ووسائلها.

الفصل الثاني

أهداف يجب أن تكون عند طالب العلم من رحلته

على طالب العلم أن يبدأ رحلته في طلب العلم وقد وضع أمامه أهدافاً يرجوها من هذه الرحلة، ليتم تحقيق الأمر له من ربه كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة ١٢٢]. وغيرها من الآيات الشاهدة في هذا الباب.

والهدف الأول من طلب العلم الصلاح، أي: العمل قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ [محمد: ١٩]، فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

وإذا لم يحصل العمل بالعلم كان ذلك العلم وبالاً على صاحبهُ وسبباً من أسباب دخوله النار، ولذلك فطالب العلم أول المطالبين بالعمل بما علم؛ لكي لا يكون هذا العلم حجة عليه يوم القيامة.

وهذا العمل يشمل جميع مناحي الحياة، فهو يشمل العقيدة، والعبادة، والأخلاق، وتربية النفس وترويضها على ترك المعاصي، والقيام بتلك الأوامر، والعمل بما تعلمه.

فالأمة كلها تنتظر طالب العلم العالم العامل المؤثر القائد الذي يعرف أهدافه ويسعى في رحلته لتحقيق تلك الأهداف، وغيرها من الصفات التي تحتاجها الأمة من علمائها وقياداتها.

ويمكن إجمالها في أربعة أهداف، تتمثل في المباحث التالية:

المبحث الأول: الهدف الأول: أن يكون صالحاً في دينه وأخلاقه: ويشمل: سلامة العقيدة، وصحة العبادة، ومتانة الخلق، ومجاهدة النفس.

المبحث الثاني: الهدف الثاني: أن يكون قدوة علمية وعملية في تخصصه.

المبحث الثالث: الهدف الثالث: أن يكون نافعاً للمسلمين خصوصاً وللناس عموماً. ويشمل: أن يكون: مُصْلِحاً لغيره، وقدوةً وقائداً، وإيجابياً، ومؤثراً، وباذلاً للمعروف.

المبحث الرابع: الهدف الرابع: أن يحسن إدارة ذاته: ويشمل: أن يكون قوياً محافظاً على صحته، ومحافظاً على وقته، ومنظماً في أموره كلها، وقادراً على كسب معاشه.

وإليك بيان تلك الأهداف المرجوة بالتفصيل:

المبحث الأول

الهدف الأول: أن يكون صالحاً في دينه وأخلاقه

هذا الهدف هو أهم هدف من أهداف طلب العلم والرحلة فيه، وما يجب أن يكون عليه طالب العلم وهو يمثل صلاح النفس أولاً، فطالب العلم يتعلم العلم لأمرين رئيسيين؛ وهما: إصلاح النفس، وإصلاح الغير.

ومن أهم ما يجب أن يركز عليه الطالب العلم في رحلته فيما يصلح نفسه، ومن ثم يهدف به لصلاح غيره هو، سلامة العقيدة، وصحة العبادة، ومتانة الخُلُق، ومجاهدة النفس. وبذلك يكون طالب العلم قادراً على التأثير والتغيير في مجتمعه وأمته، والإخلال بتلك الأهداف يحصل الخلل عند المدعوين والمجتمع.

وإليك تفصيل تلك الجوانب:

المطلب الأول

سلامة العقيدة

أي أن تقوم عقيدة طالب العلم على إقامة التوحيد لله تعالى، والتنقية من الشركيات والمخالفات العقدية، وذلك بالتزام منهج أهل السنة في توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، والإيمان بالغيبيات وباليوم الآخر، وسائر أركان الإيمان مما يقوم عليه التصديق الذي يتبعه العلم والعمل.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى سلامة العقيدة من جهة: الإخلاص لله تعالى في الطلب والعمل. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة٥] وقال ﷺ: ((**إنما الأعمالُ بالنياتِ وإنما لكلِّ امرئ ما نوى..**))[(١)].

فبالإخلاص يصلح دين المرء وتصلح أهدافه ويحولها من عادات ورغبات إلى طاعة وعبادة يتقرب بها إلى ربه ومولاه، وينفع بها إخوانه وقومه.

ولابن جماعة كلام نفيس في هذا الباب، إذ يقول: "واعلم أن جميع ما ذُكر من فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين الذين قصدوا به وجه الله الكريم والزلفى لديه في جنات النعيم، لا مَن طلبه لسوء نية أو خبث طويَّة، أو لأغراض دنيوية من جاه أو مال أو مكاثرة في الأتباع والطلب"[(٢)].

وقال سفيان الثوري: "ما عالجت شيئاً أشد علي من نيتي"[(٣)].

فما من شك أن أثر الإخلاص عظيم، وخطر الرياء جسيم في حياة طلاب العلم، فالإخلاص يدفعهم إلى معاناة الأسفار الطوال،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء وحي النبي ﷺ (١)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ (إنما الأعمال بالنية) وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال (١٩٠٧) باختلاف.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم لابن عبدالبر ص١٣.

(٣) تذكرة السامع والمتكلم لابن عبدالبر ص٦٨.

وكثرة السهر مع تعاقب الليل والنهار، فيجدون في الرحلة إلى الشيوخ والسماع منهم متعتهم، وفي كتابة الحديث راحتهم، ولكن آفات الإخلاص كثيرة، والشهوات والمطامع لا تنقطع، فكم ممن خرج مخلصاً ولكن تحولت النية وتقلبت به الأهواء.

نسأل الله الإخلاص في القول والعمل، وأن يعيذنا من حبائل الشيطان، وشهوات النفس، وغرور الدنيا الدنية الفانية.

المطلب الثاني

صحة العبادة

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البينة٥]. وقال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾ [الكهف: ١١٠].

قال السعدي: " ﴿ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ﴾ الموافق لشرع الله، من واجب ومستحب، ﴿ وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠ ﴾ أي: لا يرائي بعمله، بل يعمله خالصاً لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك؛ فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القرب من مولاه، ونيل رضاه"[(١)].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢ ﴾ [الملك: ٢].

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٤٨٩.

فقوله تعالى: ﴿ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ قال الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه، قيل يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صوابا، لم يقبل. وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل. حتى يكون خالصا صوابا»[(١)]، فالخالص: أن يكون لوجه الله، والصواب: أن يكون متبعا فيه الشرع والسنة.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت ٦٩]. قال إبراهيم بن أدهم: "هي في الذين يعملون بما يعلمون"[(٢)].

فبالإخلاص يندفع الشرك، وبالمتابعة تندفع البدع والأخطاء، ولا ريب أن المتابعة لا يمكن أن تكون إلا بعلمٍ بشريعة النبي ﷺ حتى يتمكن الإنسان من تطبيقها والعمل بها.

وبالمتابعة تتحول الجهود إلى طاعة وعبادة يتقرب بها طالب العلم إلى الله تعالى، فإن متابعة الرسول ﷺ: "طريق الحق والإيمان، فهذا هو توحيد الطريق"[(٣)].

"ولذلك لا يضيع عند الله عملٌ قام على الإخلاص والمتابعة للنبي ﷺ، فإنهما الشرطان الأساسيان لقبول الأعمال"[(٤)].

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ قدوة الخلق بذلك فقال: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه الإخلاص والنية ص٥٠ ٥١، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٩٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ٣٦٤.

(٣) توضيح المقاصد في شرح القصيدة النونية لابن القيم ٢/ ١٣٤.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٩٨.

فسلوك الطريق إلى الله لا بد فيه من تصحيح العمل؛ وفق ما يحبه الله، وعلى الصفة التي شرعها الله، لا كما نحب، أو ما نرث من آبائنا وأجدادنا، أو كما يمكن على عقولنا القاصرة.

فإذا حصل هذا من طالب العلم، حقق المرجو من رحلته؛ بل ومن خلقه، على وفق السنة، ففاز بالخير لنفسه، وبالخير لأمته ومجتمعه الذي يدعوه إلى الله بالقدوة والسنة الحسنة.

وإذا قصّر في اتباع السنة ظهرت البدع وكان هو السبب في ذلك لتضييعه الأمانة وعدم القيام بها على الوجه المفروض وكما أمر الله.

المطلب الثالث

متانة الخلق

قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ [الدخان:١٧] أي: «حَسَنُ الخلق»[(١)].

وقال تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٩].

"قال أبو روق عن الضحاك: إنه لحسن الخلق، وروى سالم عن سعيد بن جبير أنه: التقوى"[(٢)].

وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة: ٤٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

وكذلك أُمِر ﷺ بحسن الخلق قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال الشيخ السعدي: "هذه الآية الكريمة جامعة لمعاني حسن

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ١/ ٣٨٣.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام١٧/ ٢٢٦.

الخلق مع الناس، وما ينبغي للعبد سلوكه في معاملتهم ومعاشرتهم، فأمر تعالى بأخذ ﴿ٱلْعَفْوَ﴾: وهو ما سمحت به أنفسهم، وسهلت به أخلاقهم من الأعمال والأخلاق، بل يقبل ما سَهُلَ، ولا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، ولا ما لا يطيقونه، بل عليه أن يشكر من كل أحد ما قابله به من قولٍ وعملٍ وخلقٍ جميلٍ، وما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم، ويغض طرفه عن نقصهم، وعما أتوا به وعاملوه به من النقص، ولا يتكبر على صغير لصغره، ولا ناقص العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف، وما تقتضيه الحال الحاضرة، وبما تنشرح له صدورهم، ويوقر الكبير، ويحنو على الصغير، ويجامل النظير"[(١)].

فبالخلق يصلح دين المسلم، ولذلك قال رسول الله ﷺ: ((**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**))[(٢)]. وفي رواية: ((**صالح الأخلاق**))[(٣)].

وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه مرفوعا: ((**البرُّ حسنُ الخلق والإثم ما حاك في النفس وخشيت أن يطلع عليه الناس**))[(٤)].

---

(١) تيسير اللطيف المنان لابن سعدي ص١٢١.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٠٤(١٦٠٩)، والحاكم في المستدرك ٢/ ٦٧٠ (٤٢٢١)، والبخاري في الأدب المفرد ١/ ١٠٤(٢٧٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٥).

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٣٨١(٨٩٣٩) وعلق شعيب الأرنؤوط بقوله: صحيح، وهذا إسناد قوي، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عجلان فقد روى له مسلم متابعة وهو قوي الحديث، والبيهقي في الشعب ٦/ ٢٣٠ح(٧٩٧٨)، وابن أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٣٢٤ح(٣١٧٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٤٩).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأدب، باب تفسير البر والإثم (٢٥٥٣) قال النووي: البر يكون بمعنى الصلة وبمعنى اللطف والمبرة وحسن الصحبة والعشرة، وبمعنى الطاعة وهذه الأمور هي مجامع حسن الخلق. حاك: أي تحرك فيه وتردد ولم ينشرح له الصدر وحصل في القلب منه الشك وخوف كونه ذنباً.

وإذا رزق طلاب العلم حسن الخلق حصل لهم القبول وانتشر علمهم، وعمّ نفع دعوتهم، وبه ينالون المنزلة العالية عند الله في الدار الآخرة، قال شيخ الإسلام: "ولا يسود الرجل الناس حتى يكون في نفسه مجتمع الخلق ثابتاً"(١).

قال تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [الرعد: ٢٢ - ٢٣]، أي: "يعاشرون الناس بحسن الخلق، فإن عاملهم أحد بالجفاء قابلوه بالوفاء، ليحوزوا على البقاء بعد الفناء - أي في الجنة - أو العاقبة الحميدة"(٢).

وعلى هذا: "فقد كانت الرحلة بدوافعها وآدابها تأكيداً للعلاقة بين العلم والخلق، وذلك لأن الطلاب لم يكونوا يَقنعون بأخذ العلم من الكتب والصحف، فكانوا يرحلون لملاقاة الشيوخ، حتى يأخذوا عنهم العلم والخلق، ويستفيدوا منهم العلوم النظرية بالقراءة عليهم، والأخلاق العملية؛ بالاحتكاك بهم ومجالستهم والاستماع إلى نصائحهم وتوجيهاتهم، كما كان العلماء يدركون هذه المهمة المزدوجة، ولم يكونوا يرون أنفسهم حملة أَسْفارٍ وعلوم فقط"(٣).

وحسن الخلقً أساس النبوغ في العلم، فعلى الطالب أن يكون طاهر النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الصفات، فطهارة النفس وحسن الأخلاق أساس النبوغ في العلم، وربما حصل سيئ الأخلاق على العلم، غير أنه لن ينتفع به ولن ينفع به، فكأنه لم يُحَصّلْه.

---

(١) مجموع الفتاوي لابن تيمية ١٧/ ٢٢٦.

(٢) روح المعاني للألوسي ١٣/ ١٧٧ باختصار يسير.

(٣) العلاقة بين العلم والخلق في الفكر التربوي الإسلامي - بقلم: د.محمد عز الدين توفيق - مجلة البيان عدد٨٩.

المطلب الرابع

مجاهدة النفس

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت ٦٩].

"ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن الذين جاهدوا فيه، أنه يهديهم إلى سبل الخير والرشاد، وأقسم على ذلك بدليل اللام في قوله: ﴿ لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ ﴾، وهذا المعنى جاء مبيناً في آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٤]"[(١)].

قال ابن الجوزي: "أعجب الأشياء مجاهدة النفس، لأنها تحتاج إلى صناعة عجيبة.. فالحازم من تَعْلَم منه نفسه الجد وحفظ الأصول، فإذا فسح لها في مباح لم تتجاسر أن تتعداه"[(٢)].

والمجاهدة في طلب العلم تشمل: مجاهدة النفس على التعلم وحضور مجالس العلم، والترحال في طلب العلم، والمجاهدة كذلك في إنفاق المال والوقت، والصبر على مفارقة الأهل والزوجة الأولاد.

وكذلك المجاهدة على تدارس العلم ومساعدة الإخوان في الطلب، ومجاهدة النفس على الصبر على المشايخ والتأدب معهم.

---

(١) أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ٦/ ٢٤٨.

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي ٩١.

وقبل ذلك كله مجاهدة النفس للارتقاء في شُعب الإيمان، وتقوية الصلة بالله تعالى، ومراقبته في السر والعلن، ومجاهدة النفس بالبعد عن الشهوات وما تهواه وتحبه النفس من الراحة والمعصية.

ومجاهدة النفس بمقاومة الشبهات التي تطرأ على العقل والقلب وطردها وإزالتها.

ومجاهدة النفس على العمل والتبليغ لذلك العلم؛ وإلا لم يكن لطلب العلم فائدة، فتتحقق الفائدة كاملة من العلم بالعمل والدعوة إليه، وكذلك الصبر على الأذى والمشقة في تبليغه والعمل به.

فإذا حقق طالب العلم هذه المرتبة من الصلاح في الدين فسيعينه ذلك على استمرار طلبه للعلم مع العمل على تبليغ دعوة الله تعالى، والعمل بما تعلمه، وسيكون له الصلاح في كل أموره، لأن الله تعالى وعد أنه ﴿لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ وبشر بقوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: ٣٠].

المبحث الثاني

الهدف الثاني:

أن يكون قدوة علمية وعملية في تخصصه

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[النحل: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء: ٨٢ – ٨٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾[يوسف: ١٠٨].

وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ حينما جعل من بعض أصحابه ﷺ مرجعاً في أمور معينة، فعن أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: ((**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر. وأشدُّهم في دين الله عمر. وأصدقهم حياء عثمان. وأقضاهم علي بن أبي طالب. وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب. وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل. وأفرضهم زيد بن ثابت. ألا وإن لكل أمة أمينا. وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**))[(١)].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي عبيدة بن الجراح ﷺ (٣٧٩١)، وابن ماجة كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضائل زيد بن ثابت (١٥٤)، وأخرجه أحمد ٣/ ٢٨١(١٤٠٢٢)، والبيهقي في السنن ٦/ ٢١٠(١١٩٦٧)، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة (١٢٢٤).

وأرسل رسول الله ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة ليعلم الناس القرآن[١]، فكأن النبي ﷺ اختاره ليكون مرجعية أهل المدينة في تعليم وتعلم الإسلام والقرآن، فأعده النبي ﷺ علمياً وفكرياً واجتماعياً لكي يقوم بالعمل على أكمل وجه.

وسيرته في المدينة وما حققه من نتائج تبين لنا هذا الأمر بوضوح، إذ تعامل مع مؤمنهم وكافرهم، كبيرهم وصغيرهم، سادتهم وعامتهم، رجالهم ونسائهم بما يليق، فكان حكيماً مؤثراً نافعاً، فكان النبي ﷺ يعلمه لكونه معلماً لغيره.

قال ابن عيينة: "أئمة الناس ثلاثة بعد أصحاب رسول الله ﷺ، ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، وسفيان الثوري في زمانه"[٢].

وقد كان من مميزات سيرة الإمام ابن تيمية أنه متقن للأمرين: الشرعي، وما يوصل إليه من الأدوات والعلوم، قال ابن عبدالهادي عند ترجمته: "وتقدم في علم التفسير والأصول وجميع علوم الإسلام، فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه وإن عُدّ الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا وسرد وأبلسوا واستغنى وأفلسوا، وإن سُمِّيَ المتكلمون فهو فردهم وإليه مرجعهم - إلى أن قال - وأما التفسير فمسلم إليه، وله في

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة (٣٧٠٩، ٣٧١٠) وانظر القصة في السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ١/ ٤٤١.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٩/ ١٥٤).

استحضار الآيات من القرآن – وقت إقامة الدليل بها على المسألة – قوة عجيبة، وإذا رآه المقرىء تحير فيه، ولفرط إمامته في التفسير وعظمة اطلاعه يُبَيِّنُ خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويوهي أقوالاً عديدة، وينصر قولاً واحداً موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث، ويكتب في اليوم والليلة من التفسير، أو من الفقه، أو من الأصول، أو من الرد على الفلاسفة والأوائل: نحواً من أربعة كراريس أو أزيد".أ.هـ[١].

فعلمنا من كلمة تلميذه الإمام ابن عبدالهادي بأن الشيخ كان بارعاً في العلوم كلها ولاسيما الشرعية منها أو ما يخدم الشريعة كالمنطق والجدل وغيرها.

ويقول الزملكاني عنه: "كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحداً لا يعرف مثله. وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا في مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه من قبل" أ.هـ[٢].

قال ابن عبدالهادي: "وأخبرني غير واحد أنه كتب مجلداً لطيفاً في يوم، وكتب غير مرة أربعين ورقة في جلسة وأكثر، وأحصيت ما كتبه وبيَّضَهُ في يوم فكان ثماني كراريس في مسألة من أشكل المسائل، وكان يكتب على السؤال مجلداً..[٣]. إلى غير ذلك من

(١) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام لابن عبد الهادي ص٤٠_٤١.

(٢) الرد الوافر – محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي ص ١٠٥.

(٣) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام لابن عبدالهادي ص ٨٠.

أقوال تلاميذه ومعاصريه وأعدائه.

وكان شيخ الإسلام كما أخبر عن نفسه يفهم اللغة العبرية، بل كان يسمع كتب أهل الكتاب بلغتهم فيفهمها(١).

وقد ذُكر عن الإمام الشوكاني أنه: "لم يكتف بالاطلاع على العلوم الشرعية والتمكن منها، بل قرأ العلوم الفلسفية الشائعة في ذلك الوقت: كالمنطق، والطبيعة، والرياضة، والميتافيزيقيا، وقد بلغ مرتبة من التفوق المبكر جعلته يفتي وهو في العشرين من عمره، وكان لفتاويه تأثير واضح جعل الكثير من أهل صنعاء، بل وغيرهم من أهالي المدن المجاورة يستفتونه في مختلف شؤون الدين"(٢).

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ٤/ ١١٠.

(٢) أدب الطلب ومنتهى الإرب للشوكاني ١٢.

المبحث الثالث
الهدف الثالث: أن يكون نافعاً للمسلمين خصوصاً وللناس عموماً

عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي؟**)). فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله: ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت. ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: ((**هي النخلة**))[١].

قال ابن حجر: "وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها، مستمرة في جميع أحوالها، فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعها، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها، حتى النوى في علف الدواب، والليف في الحبال، وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع أحواله، ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته"[٢].

ويمكن بيان تلك البركة وذلك النفع بتحقيق صفات معينة يمكن بيانها في المطالب التالية:

المطلب الأول: أن يكون مصلحاً لغيره.

المطلب الثاني: أن يكون قدوةً.

المطلب الثالث: أن يكون قائداً.

المطلب الرابع: أن يكون إيجابياً.

المطلب الخامس: أن يكون مؤثراً.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب قول المحدث حدثنا وأخبرنا وأنبأنا (٦١)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب مثل المؤمن مثل النخلة (٢٨١١).

(٢) فتح الباري لابن رجب ١/ ١٧٦.

المطلب الأول

أن يكون مصلحاً لغيره

إنَّ الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه في كل مناحي الحياة هدف للعلماء وطلبة العلم، قال تعالى: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود ٨٨].

قال ابن سعدي: أي: "ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم، وليس لي من المقاصد الخاصة لي وحدي شيءٌ بحسب استطاعتي"(١).

وهذا الإصلاح الشامل سبب من أسباب عدم وقوع العذاب، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [هود: ١١٧]. "فأصحاب الدعوة إلى ربوبية الله وحده، وتطهير الأرض من الفساد الذي يصيبها بالدينونة لغيره، هم صمام الأمان للأمم والشعوب، وهذا يبرز قيمة كفاح المكافحين لإقرار ربوبية الله وحده، الواقفين للظلم والفساد بكل صوره، إنهم لا يؤدون واجبهم لربهم ولدينهم فحسب، إنما هم يحولون بهذا دون أممهم وغضب الله، واستحقاق النكال والضياع"، فإذا قام طالب العلم بواجب الإصلاح لغيره كان مساهماً في رفع البلاء والعذاب عن أمته وقومه.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٣٨٧.

ويكفي طالب العلم الذي يأمر بالإصلاح وإزالة الفساد أنه إذا نزل البلاء نجاه الله منه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وقال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: ((**والله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم**))(١).

وقد ورد قول ربعي بن عامر رضي الله عنه عندما سأله رستم عن سبب مجيئهم لفتح بلاد فارس، فقال ربعي رضي الله عنه: "الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه"(٢).

المطلب الثاني
أن يكون قدوة

أي: أن يرجع وهو قدوة لأهل بلده في كل خير وبذلك يكون نافعاً لهم، قال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب ٢١].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ (٢٩٤٢) ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل على بن أبي طالب (٢٤٠٦).

(٢) تاريخ الطبري ٣/ ٥٢٠، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٤٠.

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس٨٧]. فالتعبير بلفظ ﴿ وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً ﴾ فيه إشارة إلى أن تكون بيوتهم محل أنظار المؤمنين يتبعوهم في كل شيء، لأن الضغط على قوم موسى من فرعون كان قوياً، فجلوس موسى عليه السلام مع قومه وتعليمهم، وإقامة الصلاة جماعة معهم، قد يكون متعذراً كما يدل عليه سياق الآيات، ولكن لا تقف الدعوة وحركة التعليم وإقامة الشعائر عند تلك المشكلة، فالتعليم والتوجيه بالقدوة هو المرحلة المتبعة إلى أن يقضي الله الأمر، ويعلي شأن المؤمنين.

فهذا الجانب من الرعاية تأهيلٌ دعوي، حيث أن الله تعالى يبصرهم بأسلوب الدعوة، ليكونوا على بصيرة ولا يقعوا في محظور في طريقهم، وكذلك يلقي عليهم الأمن بأنه حافظ لهما ومؤيد.

ولذلك يقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢ – ٣].

"إن القدوة الحسنة التي يراها الناس ويلمسونها في صاحب الحق، بحيث يرون صاحب المبدأ يطبق مبدأه في واقع حياته وتصرفاته، فإذا كان المقام يحتاج منه إلى الكرم أقدم إلى البذل والعطاء، وإذا كان المقام يحتاج منه إلى خلق الشجاعة رآه الناس مقداما غير هياب، وإن اختبروه في صفة الصدق لم يجربوا عليه كذبا، وإن التمسوا عدالته لم يجدوا منه ظلما، وإن أرادوا معرفة تقواه ألفَوه يدع ما لا بأس به خشية مما به بأس، لشدة تحرجه من الوقوع في المأثم، فضلا عن إتيانه الأوامر الواجبة وتركه المحرمات.

والخلاصة أنه يتحرك في نشاطه كله بالقرآن والسنة، فإذا رآه الناس مداوما على ذلك مالوا إلى الاقتداء به ولو لم يتكلم؛ لأن الحق بذاته يدعو الناس إليه، فكيف إذا رأوه مطبقا في حياة أهله ورأوا ثمار تطبيقه في الحياة؟ ويبدأ المعاند المناوئ للحق يفكر في سيرة صاحب الحق ويتدبر ويقارن بين الحق الذي يراه مطبقا في حياة صاحبه، وبين الباطل الذي يزاوله هو"[١].

ولذلك القدوة تكون في كل شيء؛ فتكون في الدين والخلق والمظهر والعمل، وفي كل خير.

المطلب الثالث
أن يكون قائداً

أي: أن يرجع إلى بلده يقود الناس للخير، ولكل ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، قال تعالى عن أنبيائه عليهم السلام: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾[الأنبياء٧٣].

إنّ الإمامة في الدين تُنال بشيئين: الصبر واليقين، لأنه بالصبر واليقين؛ يسلم من الشبهات والشهوات، فبالصبر يمتنع من الشهوات، وباليقين يدرأ الشبهات.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[النحل ١٢٠]. "أي: إماما جامعا لخصال الخير هاديا مهتديا"[٢].

---

(١) السباق إلى العقول – الدكتور عبد الله قادري الأهدل١/ ٤٠.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص٤٥١.

"واللفظ يحتمل أنه يعدل أمة كاملة بما فيها من خير وطاعة وبركة، ويحتمل أنه كان إماماً يقتدى به في الخير. وهما قريبان؛ فالإمام الذي يهدي إلى الخير هو قائد أمة وله أجره وأجر من عمل بهدايته؛ فكأنه أُمَّةٌ من الناس في خيره وثوابه لا فرد واحد".

وذكر الله تعالى في وصف عباد الرحمن أنهم يدعون الله أن يكونوا أئمة للمتقين، فقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان٧٤].

إن الأمة اليوم في حاجة إلى طالب علم قائداً إلى الحق مدافعاً عنه، يأمر الناس به ويقودهم إليه، وهكذا كان الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً، ورسولنا ونبينا محمد ﷺ أعظم قائد عرفه التاريخ كما يعترف بذلك أعداؤه ومناوؤه.

وكذلك كان الصحابة رضي الله عنهم طلاب علم، وقادة للبلدان والجيوش، ناشرين دين الله تعالى بالعلم، وحسن العمل وسبقوا بفضل الاقتداء.

المطلب الرابع
أن يكون إيجابياً

الإيجابية من الأمور التي حث عليه القرآن، وحذر وذم الإنسان السلبي، قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[النحل٧٦].

إنّ طالب العلم يجب أن يكون الرجل الثاني – صاحب الوصف

الثاني في الآية – الذي يأمر بالعدل ويلتزم الصراط المستقيم، ونسأل الله أن لا يكون أحد من طلاب العلم من الصنف الأول.

إن طالب العلم لا بد وأن يرجع إلى بلده، وهو عازمٌ أن يغير كل باطل وأن يُحِلّ محله كل خير، ويتعامل مع كل الظروف والملابسات والمواقف بإيجابية، بل أن يكون جزءاً من الحل، وأن لا يكون جزءاً من المشكلة، يحاول ويجرب ويبذل كل ما في وسعه حتى وإن لم تُقْبل دعوته، ويبادر إلى الأعمال وإلى دعوة الناس بالطريق المناسب، ولا ينتظر الناس ويلقي باللائمة عليهم، أو يداهن في دين الله أحداً.

فهؤلاء الصحابة ﷺ كانوا طلبةً للعلم عند رسول الله ﷺ، وبعد موته ﷺ أصبحوا ﷺ هم المسئولون عن الإصلاح والتغيير، فلم يتوقفوا عن مسيرة الدعوة، بل بدأوا الفتوحات الإسلامية ففتح الله بهم العالم، وفتح بهم القلوب، بل ونظموا شؤون الدولة بما ينفع الناس في أمور دينهم ودنياهم؛ فنظموا البريد، ووضعوا الدواوين، ونظموا بيت مال المسلمين، وغير ذلك من الأعمال التي نفع الله بها الناس.

وتأمل قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[الأعراف: ١٦٤]، فالإيجابية إعذارٌ إلى الله من التقصير، فهؤلاء أدوا واجبهم قدر الإمكان، ولم ييئسوا من نصرة الحق، ويتركوا الدعوة إلى الله اغتراراً بقوة الباطل.

المطلب الخامس
أن يكون مؤثراً

العلم الحقيقي هو الذي يورث التأثير على النفس والمجتمع والأمة، أما إذا كثر العلم وظهر الجهل على صاحب العلم ومجتمعه، فهذا مؤشر خطير يدل على خلل في طلب العلم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[الرعد١٧].

إن طالب العلم يجب أن يؤثر في الناس وفي واقعهم بأعماله وأقواله وتصرفاته، يضع بصماته الطيبة في كل شؤون الحياة، فتجده يؤم الناس في المساجد، ويخرج معهم لزيارة المريض، ويزيل الأذى من الطريق، ويعلِّم الناس ما ينفعهم في أمور دينهم ودنياهم، فيجتهد أن يعلم هذا حرفة أو يرشده لتعلمها ويساعده على ذلك كما يعلمه الآية من القرآن، ويساعد هذا في تربية أولاده كما يساعده في تربية نفسه، ويترك أثراً في قلب وواقع كل إنسانٍ يقابله أو يتعامل معه.

كذلك كان رسولنا ﷺ، فقد ترك أثراً في قلوب أصحابه ومن بعدهم بل سيبقى ذلك الأثر يُتوارث حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

والنبي ﷺ يقول حاثاً أمته على أن تكون أعمالهم مؤثرة حتى بعد مماتهم: ((**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**))[(١)].

تقول الحكمة: "حينما تهب إنساناً سمكة فإنك تدفع عنه الجوع في يومه، وحينما تعلمه كيف يصيد السمك فإنك تدفع عنه الجوع طيلة حياته"[(٢)]، نحن نريد الأثر الذي يبقى ويتوارث، ويكون فيه الخير في الدنيا والآخرة.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان بعد وفاته (١٦٣١).

(٢) القيادة على ضوء المبادئ – د: عبد اللطيف الخياط ص٩.

المطلب السادس
أن يكون باذلًا للمعروف

إن الداعية وطالب العلم يجب أن يكون باذلاً للمعروف؛ كل أنواع المعروف، من كلمة طيبة، أو صدقة، أو إزالة الأذى عن الطريق، أو أمر بالمعروف ونهي عن منكر، أو مساعدة الناس في أمورهم العامة والخاصة وتفريج كربة المسلمين،... وغيرها من الأمور التي تحبب طالب العلم للناس وتجعله قدوةً لهم في حياتهم، وهذا المعروف هو برهانٌ على أن طالب العلم قد التزم الاستنان بسنة النبي ﷺ، وليس ممن تعلم ولم يعمل، أو ممن بخل بعلمه على الناس.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم ٤] "وعن عبد الله بن المبارك أنه وصف حسن الخلق فقال: هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الأذى"(١).

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ ﴾ [الرعد ٢١] "من صلة الأرحام، والإحسان إليهم، وإلى الفقراء والمحاويج، وبذل المعروف"(٢).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء ٣٦] "دال على أن منع الإحسان - الذي هو كف الأذى وبذل المعروف - ناتج عن خلق البخل والكبر وهما من شر الأخلاق"(٣).

قال السعدي في الدروس المستفادة من قصة شعيب عليه السلام: "ومنها: أن الداعي إلى الله يحتاج إلى الحلم وحسن الخلق

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/ ١٩٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٤٥٠.

(٣) أيسر التفاسير للجزائري ١/ ٤٠٠.

ومقابلة المسيئين بأقوالهم وأفعالهم بضد ذلك، وأن لا يُحبطه أذى الخلق ولا يصده عن شيء من دعوته، وهذا الخلق كماله للرسل صلوات الله عليهم وسلم، فانظر إلى شعيب عليه السلام وحسن خلقه مع قومه، ودعوته لهم بكل طريق؛ وهم يسمعونه الأقوال السيئة، ويقابلونه المقابلة الفعلية؛ وهو ﷺ يحلم عليهم ويصفح، ويتكلم معهم كلام من لم يصدر منهم له وفي حقه إلا الإحسان، ويُهَوِّن هذا الأمر أن هذا خُلُقٌ من ظفر به وحازه فقد فاز بالحظ العظيم، وأن لصاحبه عند الله المقامات العالية والنعيم المقيم.. فالخلق يحتاجون إلى الإحسان إليهم، وبذل المعروف، وأقل ذلك الصبر على أذاهم، وتحمل ما يصدر منهم، ولين الكلام معهم، وسلوك كل سبيل حكمة معهم..، وأعظمهم قياماً بهذه الأمور وغيرها سيدهم وخاتمهم وإمام الخلق على الإطلاق: محمد ﷺ"[1].

(١) تيسير اللطيف المنان لابن سعدي ٣٩١ - ٣٩٢ مختصراً.

المبحث الرابع

الهدف الرابع: أن يحسن إدارة ذاته

لا بد أن يكون لطالب العلم شخصيته التي يتميز بها عن غيره، فلا بد أن يحاول أن يصل لدرجة الكمال البشري قدر استطاعته، لكي يحصل بذلك على أمور من أهمها: نجاحه في طلبه للعلم، ثم نجاحه في تطبيق ذلك العلم، ويترتب عليه نجاحه في دعوته، والتأثير على الناس، وأخيراً حصوله على رضا الله تعالى بإحسانه وإتقانه لعمله؛ لقول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة: ١٠٠].

وبناء شخصية طالب العلم وبناء نفسه تبرز في عدة أمور، من أهمها:

١ - أن يكون قوياً ومحافظاً على صحته.

٢ - أن يكون محافظاً على وقته.

٣ - أن يكون منظما في أموره كلها.

٤ - أن يكون قادرا على كسب المعاش.

وإليك بيانها في المطالب التالية:

المطلب الأول

أن يكون قوياً ومحافظاً على صحته

إن الداعية وطالب العلم ينبغي له تعاهد صحته البدنية والعامة، حتى لا يعيقه ضعف ذلك عن إنجاز ما تحتاجه دعوته، سواء من إلقاء دروس، أو السعي لدعوة الناس في أماكن تواجدهم، أو رفع الظلم عن الناس والدفاع عنهم، فقد مدح الله تعالى طالوت عليه السلام، وميزه عن بقية الناس بقوة في العلم والجسم، فأهَّلَه ذلك لكي يكون قائداً يقود الناس للخير، فقال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة ٢٤٦]، فالأمم الناهضة في حاجة إلى طلاب العلم المصابرين المرابطين المتحملين لكل الأعباء، ولن يتم هذا إلا بصحة الأجسام وقوة الأبدان.

ولقد شرح رسول الله هذا المعنى في كثير من أحاديثه، وحث المؤمنين على المحافظة على قوة أبدانهم، كما حثهم على قوة أرواحهم، فقال ﷺ: ((**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير**))[(١)]، وقال: ((**وإن لبدنك عليك حقا**))[(٢)].

وبين ﷺ للأمة كثيرا من قواعد الصحة العامة وبخاصة في

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير له (٢٠٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفق له (١٩٦٨).

علم الوقاية، وذلك بأن يأكل الإنسان ما يكفيه ليقيم صلبه ولا يسرف، وتحريه فيما يشرب من ماء، ونهيه عن البول والتبرز في المياه الراكدة، وإعلانه الحجر الصحي على البلد المطعون وأهله، فلا يتركونه ولا ينزله غيرهم، وتحذيره من العدوى وطلب الفرار من المجذوم.

وكذلك عنايته بتقوية البدن، بالحث على رياضة البدن: كالرمي والسباحة والفروسية والعَدْو، وحث أمته عليها وعلى العناية بها، وإرشاد الأمة إلى جانب الاعتدال في ذلك كله، كل هذا يوضح عناية الإسلام البالغة بصحة الأمة عامة وطلبة العلم والدعاة والمجاهدين خاصة.

وجانب آخر من القوة وهو القوة في المال، فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي، فقلت إني قد بلغ بي من الوجع وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: **(لا)**. قلت بالشطر؟ فقال: **(لا)**. ثم قال: **((الثلث والثلث كبير، أو: كثير، إنك أن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها، وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في فيّ امرأتك))**، فقلت: يا رسول الله أُخَلَّفُ بعد أصحابي؟ قال: **((إنك لن تُخَلَّفَ فتعمل عملا صالحا إلا ازددت به درجة ورفعة، ثم لعلك أن تُخَلَّفَ حتى ينتفع بك أقوام، ويضر بك آخرون. اللهم امض لأصحابي هجرتهم، ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس**

سعد بن خولة)). يرثي له رسول الله ﷺ أن مات بمكة "[١].

فالنبي ﷺ هنا نبه على أن من القوة قوة المال والأولاد، فالعبد لو ترك ذرية من غير مال لأدى ذلك إلى فساد حالهم وضعف أنفسهم مما يجعلهم يتكففون الناس.

وكذلك في قوله ﷺ: **((حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون))** تنبيه على أن المؤمن القوي بأي نوع من أنواع القوة ينفع الله به قوماً ويضر به آخرين، ولكن لو لم يكن متميزاً في القوة سواء في الصحة أو المال فقد يكون تأثيره أقل.

المطلب الثاني

أن يكون محافظاً على وقته

إن الداعية وطالب العلم يجب عليه أكثر من غيره المحافظة على ساعاته ودقائقها، لأنه إن لم يحافظ على وقته فسيضيع ما تعلمه في غير منفعةٍ له ولا لغيرة، ولن يستطيع أن يكمل مسيرته في طلب العلم، وهذه وصية النبي ﷺ لأمته، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **((اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك))**[٢].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب رثى النبي ﷺ خزامة بن سعد(١٢٣٣)، و مسلم في كتاب القدر، باب الوصية بالثلث (١٦٢٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٤١(٧٨٤٦)، وقال صحيح على شرطهما، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٢٦٣(١٠٢٤٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧).

والله عزوجل يقول: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[التكاثر:٨].

عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**))[١].

قال ابن كثير: "ومعنى هذا: أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين، لا يقومون بواجبهما، ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون"[٢].

فاحذر يا طالب العلم من البطَّالين ولصوص الأوقات، فإنهم من أعظم الأسباب لضياع العمر وقتل الأوقات؛ وهؤلاء قد شكا منهم ابن الجوزي كثيراً فقال في صيد الخاطر: فصلٌ في أهل الفراغ بلاء ثم قال: "أعوذ بالله من صحبة البطالين، لقد رأيت خلقاً كثيراً يجرون معي فيما اعتاده الناس من كثرة الزيارة ويسمون ذلك التردد خدمة، ويطلبون الجلوس ويجرون فيه أحاديث الناس ومالا يعني وما يتخلله غيبة، وهذا شيءٌ يفعله في زماننا كثير من الناس» – إلى أن قال – : «إن أنكرت عليهم وقعت وحشة تقطع المألوف، وإن تقبله منهم ضاع الزمان. فصرت أدفع اللقاء جهدي، فإذا غلب قصرت في الكلام لأتعجل الفراق ثم أعددت أعمالاً لا تمنع من المحادثة لأوقات لقائهم، لئلا يمضي الزمان فارغاً فجعلت من المستعد للقائهم قطع الكاغد[٣]، وبري الأقلام وحزم

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا عيش إلا عيش الآخرة (٦٤١٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٨/ ٤٧٨.

(٣) الكاغد: القرطاس وهو فارسي معرب. انظر القاموس المحيط للفيروزأبادي ص٤٣٠.

الدفاتر. فإن هذه الأشياء لا بدّ منها ولا تحتاج إلى فكر وحضور قلب، فأرصدتها لأوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي"[١].

بل كان رسول الله ﷺ يحث على استغلال الوقت في أشد الظروف فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن قامت على أحدكم القيامة وفي يده فسيلة فليغرسها**))[٢]، وفي رواية: ((**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فان استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها**))[٣].

تنبيهاً منه ﷺ على أهمية الوقت واستغلاله في كل الظروف وألا يكون الواقع هو الذي يتحكم في استغلال الوقت، وخصوصاً في هذا الوقت الذي كَثُرَت فيه الملهيات ليس عن طلب العلم فقط بل عن أصول الواجبات كالصلوات الخمس، فالله تعالى نسأل أن يحفظ لنا أوقاتنا وأعمارنا.

---

(١) صيد الخاطر ص٢٢٥.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٨٣ح١٢٩٢٥) تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، مجمع الزائد (٦٢٣٦) وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله أثبات ثقات وكأنه أراد بقيام الساعة: أمارتها فإنه قد ورد: إذا سمع أحدكم بالدجال وفي يده فسيلة فليغرزها فإن للناس عيشا بعد.

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد(٤٧٩)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩)، وصحيح الجامع (١٤٢٤).

المطلب الثالث
أن يكون مرتباً ومنظما في أموره كلها

قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال تعالى في وصف عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقد ورد في السنة أنه زار سلمان الفارسي أخاه أبا الدرداء ﷺ – وقد كان النبي ﷺ قد آخى بينهما – فرأى أم الدرداء ﷺ متبذلة فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً، فقال له: كل، فإني صائم. فقال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكل؛ قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. قال: نم. فنام. ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، فصليا. فقال سلمان: إن لبدنك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حقٍ حقه فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: النبي ﷺ: ((**صدق سلمان**))[(١)].

فهذا حث من النبي أن يكون كل طالب علم – وكل إنسان – مرتباً لأولوياته، ويعطي كل شيء حقه، ولن يكون ذلك إلا بالتنظيم والترتيب، وهكذا كان رسول الله ﷺ في شأنه كله.

وهذا ما يسميه علماء التربية والإدارة: بالتوازن بين أدوار الحياة للشخص الواحد، فالإنسان في هذه الحياة عليه متطلبات كثيرة، وحقوقٌ كثيرة؛ فلربه حقوقٌ، ونفسه حقوقٌ، ولأبويه حقوقٌ، ولأسرته حقوق، ولأرحامه حقوقٌ، ولدعوته حقوقٌ، ولإخوانه المسلمين حقوقٌ.. وغير ذلك من أصحاب الحقوق، ولن يستطيع أن يعطي كل أحد حقه إلا إذا نَظّم حياته وعمله وكل أموره.

---

(١) تقدم تخريجه.

وطالبُ العلم -خصوصاً - الأضواء مسلطة عليه فإذا قصّر في حق نزل من أعين من قصر فيهم، وخصوصاً عندما يكون على منبر الدعوة، والدعوة في هذا الوقت قد تعددت وسائلها، كما أن وسائل التلقي قد تعددت، فيجب على الداعية مواكبة عصره ومجتمعه بما لا يتعارض مع دعوته وعلمه وأصحاب الحقوق عليه.

المطلب الرابع
أن يكون قادرا على كسب معاشه

والمقصود من هذا الهدف هو أن لا يكون عالةً على أحدٍ، وخصوصاً إذا لم يجد من يعينه ولا من يكفله، فَيُكَوِّن عنده ملكة القدرة على طلب الرزق، وليس على التواكل والاعتماد على الغير.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾[الفرقان٢٠] "أي: للتكسب والتجارة، وليس ذلك بمنافٍ لحالهم ومنصبهم؛ فإن الله جعل لهم من السمات الحسنة، والصفات الجميلة، والأقوال الفاضلة، والأعمال الكاملة، والخوارق الباهرة، والأدلة القاهرة، ما يستدل به كل ذي لب سليم، وبصيرة مستقيمة، على صدق ما جاءوا به من الله عز وجل"(١).

وذلك "التكسب والتجارة طلباً للربح الحلال. ثم لما شرع الله الجهاد بالمدينة كان يأكل مما أباح له من المغانم التي لم تبح قبله، ومما أفاء الله عليه من أموال الكفار التي أبيحت له دون غيره"(٢).

قال الإمام القرطبي: "هذه الآية أصل في تناول الأسباب

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ١٠٠.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٦/ ٢٨٦.

وطلب المعاش بالتجارة والصناعة وغير ذلك، وقد مضى هذا المعنى في غير موضع، لكنا نذكر هنا من ذلك ما يكفى فنقول: قال لي بعض مشايخ هذا الزمان في كلام جرى: إن الأنبياء عليهم السلام إنما بعثوا ليسنوا الأسباب للضعفاء، فقلت مجيبا له: هذا قول لا يصدر إلا من الجهال والأغبياء، والرعاع السفهاء، أو من طاعن في الكتاب والسنة العلياء، وقد أخبر الله تعالى في كتابه عن أصفيائه ورسله وأنبيائه بالأسباب والاحتراف فقال وقوله الحق: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء٨٠]. وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان:٢٠] قال العلماء: أي يتجرون ويحترفون.

وقال تعالى: [الأنفال:٦٩]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((**جعل رزقي تحت ظل رمحي**))[(١)]. ويستنبط من هذا السعي في طلب الرزق وليس الحرب فقط.

وكان الصحابة ﷺ يتجرون ويحترفون وفى أموالهم يعملون، ومن خالفهم من الكفار يقاتلون، أتراهم ضعفاء! بل هم كانوا والله الأقوياء، وبهم الخلف الصالح اقتدى، وطريقهم فيه الهدى والاهتداء.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢/ ٥٠ (٥١١٤)، والبيهقي في شعب الإيمان ٢/ ٧٥ (١١٩٩)، وعبد بن حميد ص ٢٦٧ (٨٤٨)، وابن أبى شيبة ٦/ ٤٧١ (٣٣٠١٦)، والطبراني في الشاميين ١/ ١٣٥ (٢١٦)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٢٦٧: «فيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وثقه ابن المدينى وأبو حاتم وغيرهما، وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات". وقال شعيب الأرنؤوط: «إسناده ضعيف»، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٦٩٤).

وأما أصحاب الصُّفة فإنهم كانوا ضيوف الإسلام عند ضيق الحال، فكان عليه السلام إذا أتته صدقة خصهم بها، وإذا أتته هدية أكلها معهم، وكانوا مع هذا يحتطبون ويسوقون الماء إلى أبيات رسول الله ﷺ. كذا وصفهم البخاري وغيره[١]. ثم لما افتتح الله عليهم البلاد ومهد لهم المهاد تأمَّرُوا، وبالأسباب أُمِرُوا.

وقال عليه الصلاة والسلام: ((**لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يسأل أحداً أعطاه أو منعه**))[٢] وهذا فيما خرج من غير تعب من الحشيش والحطب.

ثبت في البخاري عن ابن عباس قال: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون، فإذا قدموا سألوا الناس، فأنزل الله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ [البقرة: ١٩٧][٣].

ولم ينقل عن النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أنهم خرجوا إلى أسفارهم بغير زاد، وكانوا المتوكلين حقا. والتوكل: اعتماد القلب على الرب في أن يلمَّ شعثه ويجمع عليه أربه، ثم يتناول الأسباب بمجرد الأمر.[٤] وهذا هو الحق.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام(٣٣٨٨) ومسلم في كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف(٢٠٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (١٤٠١ و١٤٠٢) وأطرافهما (١٩٦٨، ١٩٦٩، ٢٢٤٤، ٢٢٤٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس (٢٤٤٧و٢٤٤٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب قول الله تعالى (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) (١٤٥١).

(٤) انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٤٢٦.

وسأل رجل الإمام أحمد بن حنبل فقال: إني أريد الحج على قدم التوكل. فقال: اخرج وحدك، فقال: لا. إلا مع الناس. فقال له: أنت إذن متكلٌ على أجربتهم"[(١)][(٢)].

وقال رسول الله ﷺ: **((إن أطيب ما أكل الرجل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده))**[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **((ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم))**. فقال أصحابه وأنت؟ فقال: **((نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة))**[(٤)].

وقد ذكر ابن حجر من "رواية ابن جريج: **((وكان عيش إسماعيل الصيد يخرج فيتصيد))** وفي حديث أبي جهم: **((وكان إسماعيل يرعى ماشيته ويخرج متنكباً قوسه فيرمي الصيد))**"[(٥)].

---

(١) أجربتهم: جمع جراب وهو ما يوضع به متاع المسافر من طعام ونحوه قال ابن منظور في اللسان ١/ ٢٥٩ "الجِرابُ: الوِعاءُ مَعْرُوف، وقيل: هو المِزْوَدُ، والجمع أَجْرِبةٌ، والجِرابُ: وِعاءٌ من إِهاب الشَّاءِ لا يُوعَى فيه إِلا يابسٌ".

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٣/ ١٤ - ١٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب كسب الرجل من عمل يده (١٩٦٦و١٩٦٧).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط (٢١٤٣).

(٥) ذكره ابن حجر في الفتح٦/ ٤٠٤ عند شرح حديث رقم (٣١٨٤و٣١٨٥). وأصل الخبر في صحيح البخاري في الحديث الطويل في قصة أم إسماعيل (٣١٨٤) في كتاب أحاديث الأنبياء باب{يزفون} وفيه: (قال فجاء - أي نبي الله إبراهيم - فقال أين إسماعيل؟ فقالت امرأته ذهب يصيد).

وقد كان السلف رضوان الله عليهم يكتسبون من عمل أيديهم، قال الذهبي واصفاً الإمام ابن دينار النيسابوري: "كان يأكل من عمل يده"[١].

وكذلك قال عن نور الدين صاحب الشام: "وكان يأكل من عمل يده، ينسخ تارة، ويعمل أغلافاً تارة"[٢].

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/ ٣٨٢.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠/ ٥٣٤، والجامع القرآن ١٣/ ١٦ وقال القرطبي: وَقَدْ أَتَيْنَا عَلَى هَذَا فِي كِتَابِ" قَمْعُ الْحِرْصِ بِالزُّهْدِ وَالْقَنَاعَةِ وَرَدُّ ذل السؤال بالكتب والشفاعة.

الفصل الثالث

تنبيهات ووصايا لطالب العلم في غربته

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: تنبيهات عامة لطالب العلم.

المبحث الثاني: تنبيهات لطالب العلم في علاقته بالعلماء.

المبحث الثالث: مفسدات الرحلة في طلب العلم.

المبحث الرابع: نموذج في وصية الحسن بن سفيان النسوي لطلابه.

تمهيد:

في الفصلين السابقين تحدثنا عما يجب أن يضعه الطالب من أهداف في رحلته، بل في حياته كلها، حتى يرجع من رحلته في طلب العلم وقد بلغ مرتبة في العلم والإيمان والأخلاق تعينه على استكمال طريق العلم والتعليم، وهو في حياته كلها يسعى لاستكمال تلك الأهداف.

وهنا سنعرض تنبيهات لطالب العلم أثناء رحلته في الطلب، لكي يستطيع تحقيق تلك الأهداف المرجوة من رحلته.

المبحث الأول

تنبيهات عامة لطالب العلم

طالب العلم بحاجة إلى غرس مجموعة من التنبيهات والوصايا التي تساهم في نجاحه في رحلته وطلبه للعلم، نجملها في النقاط التالية:

أولًا: تجديد ومراقبة الإخلاص لله في الطلب والسفر:

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة ٥].

وقال رسول الله ﷺ: ((**إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى..**))[(١)].

قال سفيان الثوري: "ما عالجت شيئاً أشد على من نيتي"[(٢)].

وهذا الأمر واضح البيان، ولكنه كثير النسيان؛ والله المستعان، ولذلك يقول الشيخ محمد المختار الشنقيطي: "الإخلاص يحتاج أن يذكر به طلاب العلم في كل مجلس من مجالس العلم، ولو أن كل مجلس من مجالس العلم استفتحه العالم بالكلام على الإخلاص لكان ذلك خليقا به وليس بكثير. فالإخلاص هو الفرق بين العبد المطيع الذي أراد وجه الله عز وجل والدار الآخرة، ومن أراد ما عند عباد الله من حظ السمعة والرياء"[(٣)].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة (٦٨).

(٣) من مذكرة مفرغة من شرح زاد المستقنع للشيخ الشنقيطي - نسخة المكتبة الشاملة.

ثانيا: استئذان الأبوين:

فقد بوب الخطيب البغدادي باباً بعنوان: "استئذان الأبوين في الرحلة، ووجوب طاعتهما وبرهما، وترك الرحلة مع كراهيتهما ذلك وسخطهما"(١).

وسئل الإمام أحمد: طلب العلم أحب إليك؟ أو أرجع إلى أمي. وكان السائل غريباً عن بلده فقال: "إذا كان العلم فيما لا بد منه أن تطلبه فلا بأس"(٢).

قال أبو بكر الوراق: "وإذا منع الطالب أبواه عن تعلم العلم المفترض فيجب عليه مداراتهما والرفق بهما حتى تطيب له أنفسهما ويسهل من أمره ما يشق عليهما"(٣).

يقول الشيخ المنجد: "إذا كان العلم الذي يريد طلبه مفروضاً، ولن يقوم دينه إلا به، فإنه لا يتوقف عن الطلب من أجل الإذن، فإن كان ليس مفروضاً فيجب استئذان الوالدين شرعاً"(٤).

"وقال الحنفية: إن كان يخاف الضّيعة على أبويه بأن كانا معسرين، ونفقتهما عليه، وماله لا يفي بالزّاد والرّاحلة ونفقتهما، فإنّه لا يخرج بغير إذنهما، وإن كان لا يخاف الضّيعة عليهما؛ بأن كانا موسرين، ولم تكن نفقتهما عليه، كان له أن يخرج بغير إذنهما.

وإن كان يخاف عليه الهلاك بسبب خروجه لطلب العلم كان بمنزلة خروجه للجهاد، فلا يباح له الخروج إن كره الوالدان أو

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي (١٧٠ - ١٧٥).

(٢) المرجع السابق ٤٥١.

(٣) المرجع السابق ٤٥١.

(٤) طالب العلم والرحلة - المنجد - شريط.

أحدهما خروجه، سواء كان يخاف عليهما الضّيعة أو لا يخاف عليهما الضّيعة، ولو كان عنده أولاد فإن قدر على التّعلّم وحفظ العيال فالجمع بينهما أفضل.

وذهب المالكيّة إلى: أنّ للأبوين منع ولدهما من الخروج لطلب العلم إن كان في سفره خطر، وصرّح العدويّ: بأنّ للولد أن يخرج بغير إذن والديه لطلب العلم الكفائيّ إن لم يكن في بلده من يفيده إيّاه، بشرط أن يرجى أن يكون أهلاً، فإن كان في بلده من يفيده إيّاه فلا يخرج إلاّ بإذنهما.

وأجاز الشّافعيّة: السّفر لتعلّم الفرض وكلّ واجب عينيّ، ولو كان وقته متّسعاً وإن لم يأذن الأبوان، كما أجازوا السّفر لطلب الفرض الكفائيّ، كدرجة الفتوى، وإن لم يأذن أبواه، على أن يكون السّفر آمناً أو قليل الخطر، ولم يجد ببلده من يصلح لكمال ما يريده، أو رجا بغربته زيادة فراغ، أو إرشاد أستاذ، ويشترط لخروجه لفرض الكفاية أن يكون رشيداً، ولو لزمته كفاية أصله احتاج لإذنهما.

ومذهب الحنابلة في ذلك: كمذهب الشّافعيّة حيث صرّحوا بأنّه لا طاعة للوالدين في ترك تعلّم علم واجب يقوم به دينه من طهارة وصلاة وصيام، وإن لم يحصل ما وجب عليه من العلم ببلده فله السّفر لطلبه بلا إذن أبويه"[(١)].

ثالثا: الاجتهاد في التحصيل العلمي:

عن أبي هريرة ﷺ قال: إنكم تقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ ! وتقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ١/ ٤٠ – ٥٠ مختصراً.

مثله ! وإن إخواني المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق[١]، وكان إخواني من الأنصار يشغلهم عمل أموالهم؛ وكنت امرءاً مسكيناً من مساكين الصفة، ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقد قال رسول الله ﷺ في حديث يحدثه يوماً: ((**إنه لن يبسط أحدٌ ثوبه حتى أقضي مقالتي، ثم يجمع إليه ثوبه، إلا وعى ما أقول**)). فبسطت نمرة عليّ، حتى إذا قضى مقالته، جمعتها إلى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيءٍ[٢].

وكان عمر رضي الله عنه إذا ذكر ابن عباس رضي الله عنهما قال: "ذلك فتى الكهول، له لسان سؤول، وقلب عقول"[٣].

وروى ابن عساكر عن محمد بن علي أبو عبد الله الصوري أنه كان مع كثرة طلبه وكتبه صعب المذهب فيما يسمعه ربما كرر قراءة الحديث الواحد على شيخه مرات[٤]، ورحل في سنة ثمان عشرة وأربعمائة فسمع من أبي الحسن بن مخلد ومن بعده، وأقام ببغداد يكتب الحديث وكان من أحرص الناس عليه وأكثرهم كتباً له وأحسنهم معرفة به، ولم يقدم علينا من الغرباء الذين لقيتهم أفهم منه بعلم الحديث وكان دقيق الخط صحيح النقل[٥].

---

(١) الصفق في البيع: صوت وقع يد البائع على يد المشتري عند عقد التبايع.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله عز وجل: {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض}(١٩٤٢)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي هريرة (٢٤٩٢).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٦٢٠)، وأورده الهيثمي في «المجمع «٩ / ٢٧٧، ونسبه للطبراني.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي٢/ ٢٧.

(٥) المصدر السابق٢/ ٢٧.

"وكان الإمام مالك حريصاً على الانتفاع من رواية الزهري إلى الحد الذي يجعله يذهب إلى بيته في يوم العيد فيجلس على بابه، لظنه أن هذا اليوم يخلو فيه ابن شهاب، وما أدخله ابن شهاب في يوم العيد إلا لما رأى من حرصه على العلم وقوة حافظته"[١].

وعن أبي عبيد أنه كان يقول: كنت في تصنيف هذا الكتاب[٢] أربعين سنة، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال، فأضعها في الكتاب، **فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة**، وأحدكم يجيئني فيقيم عندي أربعة أشهر، خمسة أشهر، فيقول: قد أقمت الكثير[٣].

يقول الشيخ محمد المختار الشنقيطي: "هذا العلم يحتاج إلى تضحية وجهاد، ولا ينال إلا بالتعب والنصب، فلذلك ينبغي لطالب العلم أن يهيئ من نفسه الهمة الصادقة في طلب العلم؛ فإن في العلم سآمة وملالا، وتضحية بالأوقات والأعمار، وتضحية بالمال والنفس، وبالجَهد والجُهد"[٤].

ومن الاجتهاد في التحصيل العلمي الأخذ عن العلماء أهل التقوى والصلاح لأن علمهم وإن قل ففيه بركة، فعن أبي العالية قال: "كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام؛ لأسمع منه

---

(١) انظر: شروح الموطأ (١٨).

(٢) يريد كتاب الغريب المصنف كما ذكر ذلك محقق سير أعلام النبلاء في الهامش.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢/ ٤٠٧، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ٤٩٦.

(٤) من مذكرة مفرغة من شرح زاد المستقنع.

فأول ما أتفقد منه صلاته، فإن أجده يقيمها أقمت وسمعت منه، وإن أجده يضيعها رجعت ولم أسمع منه، وقلت: هو لغير الصلاة أضيع"[١].

وقد حث النبي ﷺ على الرحلة في طلب العلم وبين أفضل الأماكن التي يطلب فيها العلم فقال ﷺ: ((**ليضربن الناس أكباد الإبل في طلب العلم، فلا يجدوا عالماً أعلم من عالم المدينة**))[٢].

رابعاً: الاهتمام بالقرآن وبالعبادات:

يقول الشيخ محمد بن إبراهيم: "فينبغي لطالب العلم - بل كل أحدٍ - أن يكون له مزيد عناية بالقرآن، وجَعْلِ حزبٍ مترتب عليه، ولا أقل من أن يختم في كل شهر، وإن ختمه في كل عشر ففيه خير، وأكمل منه أن يختمه في كل أسبوع كما هي طريقة الصحابة، والحزب ينبغي أن يكون كله أو منه قسم في صلاة الليل على حسب استطاعته، ويجاهد نفسه على ذلك.."[٣].

خامساً: الصبر على العلم والتعلم:

عقد الدارمي في سننه باب: الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه، ثم ذكر خبر محمد بن أبي حاتم قال: سمعت البخاري يقول: خرجت إلى آدم ابن أبي إياس، فتخلفت عني نفقتي، حتى جعلت

---

(١) انظر: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ١/ ٢٣/ ٢٢.

(٢) أخرجه أحمد ١٣/ ٣٥٨(٧٩٨٠) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف رجاله ثقات رجال الصحيح إلا أن ابن جريج مدلس ولا يدلس إلا عن ضعيف وهو هنا قد عنعن وكذا أبو الزبير مدلس وقد عنعن. وقال الذهبي في السير بعد أن أورد هذا الحديث بهذا الإسناد: هذا حديث نظيف الإسناد غريب المتن، وصححه ابن حبان٩/ ٥٢ (٣٧٣٦).

(٣) الفتاوى والرسائل للشيخ محمد بن إبراهيم ١٣/ ٢٠٤.

أتناول الحشيش[١]، ولا أخبر بذلك أحداً، فلما كان اليوم الثالث، أتاني آت لم أعرفه، فناولني صرة دنانير، وقال: أنفق على نفسك[٢].

قال أبو الحسن المدائني: قيل للشعبي: من أين لك كل هذا العلم؟ قال: بنفي الاغتمام، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمار – وفي رواية – الجماد، وبكور كبكور الغراب[٣].

وكان أبو العلاء الهذاني مُهيناً للمال، باع جميع ما ورثه، وكان من أبناء التجار، فأنفقه في طلب العلم، حتى سافر إلى بغداد وإلى أصبهان مرات ماشياً يحمل كتبه على ظهره، سمعته يقول: كنت أبيت ببغداد في المساجد، وآكل خبز الدخن[٤][٥].

عن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: "كنا بمصر سبعة أشهر، **لم نأكل فيها مرقةً**، كل نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ، وبالليل: النسخ والمقابلة، قال: فأتينا يوماً أنا ورفيق لي شيخاً، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا، فاشتريناها، فلما صرنا إلى البيت،

(١) تعريف الحشيش: هو يابس الكلأ وهو أجود علف يصلح للخيل، انظر لسان العرب ٦/ ٢٨٣، أما الحشيش الذي يعرف اليوم فهو نوع من أنواع المخدرات التي يحرم تعاطيها.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/ ٤٤٨.

(٣) المرجع السابق ٤/ ٣٠٠.

(٤) خبز الدخن هو: دَخِن الطعامُ واللحم وغيره دَخَناً فهو دَخِن إذا أَصابه الدخان في حال شَيّه أَو طبخه حتى تَغْلبَ رائحتُه على طعمه ودَخِن الطبيخ إذا تَدخّنت القدر وشراب دَخِن متغير. انظر: لسان العرب ١٣/ ١٤٩، وكان يأكله والله أعلم: لأنه أصبح لا يستطيع أن يأكله الناس لأن طعمه أصبح فيه دخان، فطعمه لا يستساغ، فإما أن يكون سعره رخيص لأن الناس لا تقبل عليه أو أن الناس لا يأكلونه أصلاً، وهو يأخذه فيأكله.

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١/ ٤٢.

حضر وقت مجلس الدرس، فلم يمكننا إصلاحه، ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام، وكاد أن يتغير، فأكلناه نيئا، لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه، ثم قال: **لا يستطاع العلم براحة الجسد**"[١].

و"قال الإمام مالك: كنت آتي نافعا نصف النهار وما تظلني الشجر من الشمس إلى خروجه، فإذا خرج أدعه ساعة كأني لم أرده ثم أتعرض له فأسلم عليه وأدعه حتى إذا دخل البلاط أقول له كيف قال ابن عمر في كذا وكذا فيجيبني ثم أجلس عنده وكان فيه حدة، وكنت آتي ابن هرمز بكرة فما أخرج من بيته حتى الليل.

قال الزبيري رأيت مالكاً في حلقة ربيعة وفي أذنه شنف[٢] وهذا يدل على ملازمته الطلبة من صغره كما قال في خبر نافع"[٣].

سادسا: عدم الانشغال بغير العلم:

لا بد لطالب العلم من البعد عن المشغلات التي تضيع وقته، وتشغله عن ما لا يعنيه من فضول الكلام والسماع والنظر.. مما يشغل البال ويقلل التركيز.

"قال أبو علي الأوقي: سمعت أبا طاهر السلفي يقول: لي ستون سنة بالإسكندرية ما رأيت منارتها إلا من هذه الطاقة، وأشار إلى غرفة يجلس فيها"[٤].

عن ابن مهدي قال: "لزمت مالكاً حتى ملني، فقلت يوماً: قد

---

(١) المصدر السابق ١٣/ ٢٦٦.

(٢) الشنف: القرط الأعلى، انظر: مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي ص٣٥٤.

(٣) ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ١/ ٣٢.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١/ ٢٢.

غبت عن أهلي هذه الغيبة الطويلة، ولا أعلم ما حدث بهم بعدي. قال: يا بني، وأنا بالقرب من أهلي، ولا أدري ما حدث بهم منذ خرجت"[١].

ومن ذلك عدم تدخل الطالب فيما لا يعنيه وكثرة السؤال فيما لا يفيده، كما قال رسول الله ﷺ: ((**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**))[٢].

وركب علي بن عيسى في موكب عظيم، فجعل الغرباء يقولون: من هذا؟ من هذا؟ فقالت امرأة قائمة على الطريق: إلى متى تقولون: من هذا؟ من هذا؟ هذا عبد سقط من عين الله فابتلاه بما ترون، فسمع علي بن عيسى ذلك، فرجع إلى منزله، واستعفى من الوزارة، وذهب إلى مكة وجاور بها[٣].

سابعا: القناعة في الدنيا والعفة عما في أيدي الناس:

وصَّى ابن مسعود رضي الله عنه تلاميذه قائلاً: "كونوا ينابيع العلم، مصابيح الهدى، أحلاس البيوت -أي سقط المتاع-، سرج الليل، جدد القلوب -أي متقدة- بالإيمان، خلقان الثياب، تعرفون في السماء، وتخفون على أهل الأرض"[٤].

"فيقنع من القوت بما تيسر، ومن اللباس بما يستر، فالصبر على ضيق العيش ينال به سعة العلم ويجمع شمل القلب عن متفرقات الآمال فتفجر فيه ينابيع الحكم، قال الشافعي: لا يطلب أحد العلم

---

(١) المصدر السابق ٩/ ٢٠٥.

(٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب١١ (٢٣١٧)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٠٣).

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٥/ ٤٦٤.

(٤) سنن الدارمي رقم (٢٦٢).

بالملك وعزة النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح"[١].

"قال البرقاني: دخلت إسفرايين ومعي ثلاثة دنانير ودرهم، فضاعت الدنانير، وبقي الدرهم، فدفعته إلى خباز، فكنت آخذ منه كل يوم رغيفين، وآخذ من بشر بن أحمد الإسفراييني جزءاً فأكتبه، وأفرغه بالعشي، فكتبت ثلاثين جزءاً، ونفد ما عند الخباز، فسافرت"[٢].

قال ابن طاهر: "بلت الدم في طلب الحديث مرتين، مرة ببغداد، وأخرى بمكة، كنت أمشي حافياً في الحر، فلحقني ذلك، وما ركبت دابة قط في طلب الحديث، وكنت أحمل كتبي على ظهري، **وما سألت في حال الطلب أحداً، كنت أعيش على ما يأتي**"[٣].

وروي عن الثوري قال: "أحب أن يكون صاحب العلم في كفاية، فإن الآفات إليه أسرع، والألسنة إليه أسرع"[٤].

قال عبدالملك بن شعيب بن الليث: سمعت أسد بن موسى يقول: "كان عبدالله بن علي يطلب بني أمية فيقتلهم، قال: فدخلت مصر في هيئة رثة، فأتيت الليث، فلما فرغت من المجلس، تبعني خادم له بمائة دينار، وكان في حزتي[٥] هميان فيه ألف دينار، فأخرجتها، فقلت: أنا في غنى، استأذن لي على الشيخ، فاستأذن، فدخلت، وأخبرته بنسبي واعتذرت من الرد، فقال: هي صلة. قلت: أكره أن أعود نفسي. قال: ادفعها إلى من ترى من أصحاب الحديث"[٦].

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ابن جماعة (٧٠).

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤/ ٣٧٥. سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٤٦٦ - ٤٦٧.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٩/ ٣٦٣.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ٧/ ٢٥٤، تذكرة الحفاظ للذهبي ٤/ ١٢٤٣.

(٥) الحزة بضم الحاء: الحجزة، وهي موضع شد الأزار والسراويل.

(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ١٥٨ حلية الأولياء لأبي نعيم ٧/ ٣٢٢.

عن أبي العالية أن رسول الله ﷺ قال: ((**من تكفل لي أن لا يسأل أحداً شيئاً أتكفل له الجنة**)) فقال ثوبان: أنا. فكان لا يسأل أحداً شيئاً[(١)].

وكان أبو بكر بن أبي داود السجستاني يقول: "دخلت الكوفة ومعي درهم واحد، فأخذت به ثلاثين مد باقلاء[(٢)]، فكنت آكل منه، وأكتب عن أبي سعيد الأشج، فما فرغ الباقلاء حتى كتبت عنه ثلاثين ألف حديث، ما بين مقطوع ومرسل"[(٣)].

ومن القناعة الاقتصار في النفقة، فقد روي عن أبي عبد الله الصوري: أنه كان يكتب في وجه ورقة من أثمان الكاغد الخراساني[(٤)] ثمانين سطراً[(٥)].

وهذه النصوص وغيرها مما تؤكد أن عفة طلاب العلم عما في أيدى الناس وعدم تعلق قلوبهم بها.. ومحاولتهم التقلل من الدنيا وزهدهم فيها؛ مما يجعل لعلمهم بركة، ولآثارهم بقاء، ولكلامهم تأثير، ولحياتهم قدوة.

---

(١) رواه أبو داود كتاب الزكاة باب كراهية المسألة (١٦٤٣)، وأحمد في المسند: ٥/ ٢٧٦ و٢٧٧ و٢٧٩ و٢٨١، ومعجم الطبراني (١٤٣٣). والذهبي في السير ٣/ ١٧، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب ٢/ ٨ إسناده صحيح، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢٠٠٩)، وصححه الألباني في صحيح أبو داود(١٤٥٠).

(٢) الباقلاء: باللهجة العراقية: الفول.

(٣) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٩/ ٤٦٦- ٤٦٧، سير أعلام النبلاء للذهبي١٣/ ٢٢٣.

(٤) الكاغد: بالدال والذال فارسي معرب، وهو ورق الكتابة، انظر هامش سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ٣٦٨.
والمقصود من العبارة أنه كان يكتب في ثُمُن صفحة من الأوراق الخراسانية، ثمانين سطر، أو أنه كان يكتب ما يكتب في ثماني صفحات في صفحة واحدة.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي٢/ ٢٧.

ثامناً: بذل المال في سبيل الطلب:

أنشد أبو الفضل العباس بن محمد الخراساني:

رحلت أطلب أصل العلم مجتهداً
وزينة المـرء في الدنيا الأحاديث
لا يـطـلـب الـعـلـم إلا بـاذلا
ذكـر وليس يبغضه إلا المخانيـث
لا تعجبن بمال سـوف تتركـه
فإنما هـذه الدنيا مواريـث[١]

وكان "الإمام مالك لا يدخر جهداً في طلب العلم وأيضاً لم يدخر في سبيله مالاً، حتى ليروى أنه نقض سقف بيته فباع خشبه، وذلك من أجل العلم ومن أجل ملازمة أكابر العلماء"[٢].

قال محمد بن أبي حاتم سمعت البخاري يقول: "كنت أستغل كل شهر خمسمائة درهم، فأنفقت كل ذلك في طلب العلم"[٣].

وقال سهل بن المتوكل: سمعت محمد بن سلاّم يقول: "أنفقت في طلب العلم أربعين ألفاً، وأنفقت في نشره أربعين ألفاً، وليت ما أنفقت في طلبه كان في نشره"[٤].

قال التنوخي: قال لي أبو إسحاق الطبري: من قال: "إن أحداً أنفق على أهل العلم مائة ألف دينار، فقد كذب غير أبي محمد بن الأكفاني"[٥].

(١) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ٢٩/ ٢٧.

(٢) انظر: موسوعة شروح الموطأ (١٨).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢/ ٤٤٩.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠/ ٣٦٠.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠/ ١٤١، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/ ١٥٢،وهذا حسب علمه وإلا فقد روي عن زين العابدين وغيره من النفقة أكثر من هذا.

وروي أن "عبد الرحمن بن القاسم كان ذا مال ودنيا فأنفقها في العلم، وقيل: كان يمتنع من جوائز السلطان وله قدم في الورع"[١].

قال أبو بكر بن كامل: "لما ترعرع ابن جرير وحفظ القرآن، سمح له أبوه في أسفاره، وكان أبوه طول حياته يمده بالشيء بعد الشيء إلى البلدان، فيقتات به، ويقول فيما سمعته: أبطأت عني نفقة والدي، واضطررت إلى أن فتقت كمي قميصي فبعتهما"[٢].

تاسعا: العمل بالعلم:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا يغرركم من قرأ القرآن، ولكن انظروا إلى مَن يعمل به"[٣].

وقال مالك بن دينار: "تلقى الرجل ما يلحن حرفاً وعمله لحن كله"[٤].

كما أن العلماء عُنوا بهذا عناية فائقة سواء بإفراد مصنَّف مستقل كالخطيب البغدادي في كتابه "اقتضاء العلم العمل". أو بتضمين الكتاب باباً كما هو الحال عند ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» حيث عقد: باب جامع القول في العمل بالعلم. كما بث ذلك ابن رجب في كتابه: فضل علم السلف على علم الخلف، وغيرهم.

عاشرا: التعاون بين طلاب العلم:

يقول الشيخ محمد المختار الشنقيطي: "ينبغي أن يتواصى طلاب العلم بالمحبة، والتعاون، والتكاتف، والتعاطف لبلوغ هذه الغاية الكريمة؛ إذ يحتاج الطالب دائما إلى الأخ الصادق الذي يشد

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٩/ ١٢١.

(٢) المرجع السابق ١٤/ ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٣) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي برقم (١٠٩)

(٤) المرجع السابق (١٥٠)

من أزره في طاعة الله جل وعلا، ويحتاج إلى من يذاكره العلم، ومن يعينه على تفهم المسائل والأحكام واستذكارها واستحضارها.

فينبغي على طالب العلم أن ينظر في إخوانه وخِلانه، فمن وجده صادق العزيمة، تلوح من أعماله وأقواله أمارات الإخلاص فليقربه إليه، وليحبه في الله ولله، وليجتهد معه في بلوغ هذه الغاية الموجبة لرضى الله جل وعلا. ولذلك قال الله عن نبيه موسى صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا﴾ [طه:٢٩ - ٣٤]. فما أجلها من نعمة حين يقيض الله لك عبداً صالحاً، فإذا كنت على طاعة ثبتك، وإذا كنت على غيرها دعاك للإقلاع عنها.

فهناك من طلاب العلم من يضيعون هذا الأمر العظيم الذي يكمل به طالب العلم نقصه، فطالب العلم لا يستطيع أن يعيش وحده، ولا يمكن أن يحصل هذا العلم على أتم الوجوه وأكملها إلا بأخ صادق يعينه على استحضار المسائل، وكذلك على حل المشاكل، ومعرفة ما كان في حلق العلم، ويحاول الإنسان أن يتناقش معه مناقشة تدل على المودة والمحبة، ولذلك قالوا في العلم: واعلم بأن العلم بالمذاكرة والدرس والفكرة والمناظرة. فيحتاج العلم إلى مذاكرته مع الأخ الصادق"[١].

(١) من مذكرة مفرغة من شرح زاد المستقنع.

المبحث الثاني
تنبيهات لطالب العلم في علاقته بالعلماء

أولًا: توقير العلماء وحسن الخلق معهم:

قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، "فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لي في ذلك أم لا؟ وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء والكبر، الذين لا يظهرون للمعلم افتقارهم إلى علمه، بل يَدّعي أحدهم أنه يتعاون هم وإياه، بل ربما ظن أنه يُعَلِّم معلمه، وهو جاهل، فالتواضع للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم"(١).

وقد مر بنا حديث ابن عمر رضي الله عنه في سؤال النبي ﷺ عن النخلة، قال ابن حجر تعليقاً على هذا الحديث: "وفيه الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة، وقد بوب البخاري لهذا الحديث في باب الأدب، وفيه توقير الكبير، وتقديم الصغير أباه في القول، وأنه لا يبادر بما فهمه وإن ظن أنه صواب، وفيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه ما يدركه من هو دونه"(٢).

وروى الخطيب بسنده عن حمدان بن الأصبهاني قال: «كنت عند شريك، فأتاه بعض ولد المهدي فاستند إلى الحائط وسأل عن حديث، فلم يلتفت إليه، فأعاد عليه، فلم يلتفت إليه. فقال: كأنك تستخف

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ٤٨٤.

(٢) فتح الباري لابن حجر ١/ ١٧٧ - ١٧٨.

بأولاد الخلافة؟ قال: لا، ولكن العلم أزيد عند أهله من أن يضيعوه. قال: فجثا على ركبتيه، ثم سأل، فقال: شريك: هكذا يُطلب العلم»[١].

فعلى طالب العلم أن يكون خلقه حسنٌ مع كل الناس، سواء كانوا معلمين أو زملاء في الطلاب أو غيرهم من فئات المجتمع لأن طالب العلم بتصرفاته يعطي صورة عن تلك الفئة من طلاب العلم، فإن حسن الأخلاق والتعامل يعكس الصورة الحسنة للعلماء في عقول الناس.

وقد حث النبي ﷺ أمته، وطلابه خصوصاً على حسن الخلق، وحذر أشد التحذير من سوء الخلق في التعامل مع الناس، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له فقال النبي ﷺ: ((**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**))[٢] وهكذا كان حاله ﷺ.

ولقد حثَّ الإسلام على توقير العلماء وإجلالهم، فعن أبي موسى الأشعري قال: قال النبي ﷺ: ((**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه**))[٣].

والقاعدة في ذلك هي في قول النبي ﷺ: ((**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**))، وفي رواية: ((**صالح الأخلاق**))[٤].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ١/ ١٩٨.

(٢) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب رحمة الصبيان (١٩١٩). وأحمد ٢/ ٢٠٧(٦٩٣٧).قال شعيب الأرنؤوط: صحيح سندا ومتنا، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٦٩).

(٣) رواه أبو داود كتاب الأدب باب في تنزيل الناس منازلهم (٤٨٤٣) وحسنه الألباني.

(٤) تقدم تخريجه.

وروِيَ عن عمر ﷺ مرفوعاً وموقفاً أنه قال: "تعلموا العلم، وتعلموا له السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه، ولمن تعلمونه، ولا تكونوا جبابرة العلماء"(١).

قال طاووس: "إن من السنة توقير العالم"(٢).

وورد أن زيد بن ثابت ﷺ صلى على جنازه ثم قربت له بغلة ليركبها فجاء ابن عباس ﷺ فأخذ بركابه فقال له زيد: خل عنك يا ابن عم رسول الله. فقال ابن عباس: هكذا يفعل بالعلماء والكبراء(٣).

وكان الإمام أحمد متكئا من علة فذكر عنده إبراهيم بن طهمان فاستوى جالسا وقال: "لا ينبغي أن نذكر الصالحين فنتكئ"(٤).

ورحم الله ابن منده عندما قيل له إن شُعْبَة قال: "من كتبتُ عنه حديثاً فأنا له عبد، فقال ابن منده: من كتب عنِّي حديثاً فأنا له عبد"(٥).

قال النووي في مقدمة – تهذيب الأسماء واللغات: "أنهم أئمتنا وأسلافنا، كالوالدين لنا، وأجدى علينا فى مصالح آخرتنا التى هى دار قرارنا، وأنصح لنا فيما هو أعود علينا "(٦).

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ١/ ٥٠١.

(٢) المرجع السابق ١/ ٤٥٩.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٢٧٥.

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/ ٢٦.

(٥) كتاب ذيل الطبقات لابن رجب الحنبلي ـ١/ ٢٨.

(٦) تهذيب الأسماء للنووي ١/ ١١.

وقال: "الشيوخ في العلم آباء في الدين، ووصلة بينه وبين رب العالمين، فكيف لا يقبح جهل الأنساب، والوصلة بينه وبين ربه الكريم الوهاب، مع أنه مأمور بالدعاء لهم، وبرهم، والثناء عليهم، والشكر لهم"[١].

وكان الشافعي يبادل أحمد الحب والتقدير والإجلال فقال فيه:

قـالـوا: يـــزورك أحمـــد وتـــزوره

قلت: الفضائـل ما تعدت منزلـه

إنْ زارني فبفضلـه أو زرتـــه

فلفضله، فالفضل في الحالين له[٢]

وسأل رجل الإمام أحمد فقال: بالري –مدينة– شاب يُقال له: أبو زُرعة، فغضب أحمد، وقال: تقول شاب؟ كالمنكر عليه، ثمَّ رفع يديه يدعو الله عز وجل لأبي زُرعة ويقول: "اللهم انصره على من بغي عليه، اللهم عافه، اللهم ادفع عنه البلاء، اللهم..، اللهم..، في دعاء كثير"[٣].

قال العراقي: "لا ينبغي للمحدث أن يحدث بحضرة من هو أولى منه بذلك، وكان إبراهيم والشعبي إذا اجتمعا لم يتكلم إبراهيم بشيء"[٤].

---

(١) مواهب الجليل للحطاب الرُّعيني ١/ ٨.

(٢) شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد ٢/ ٥٩.

(٣) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني ١/ ١٢٢٥.

(٤) الشذا الفياح في علوم ابن الصلاح ٣٨٧.

وقال ابن الشافعي: "ما سمعت أبي ناظر أحداً قط فرفع صوته"[١].

وقال البخاري: "ما رأيت أحدا أوقر للمحدثين من يحيى بن معين"[٢].

وقال عطاء بن أبي رباح: "إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأُنصت له كأني لم أسمعه أبداً. وقد سمعته قبل أن يولد"[٣].

وقال الشافعي: "ما ناظرت أحداً قط إلا وتمنيت أن يجري الله الحق على لسانه"[٤].

وهنا جانب مهم من توقير العلماء يقول فيه الشيخ محمد المختار الشنقيطي: "وليعلم كل طالب منتسب إلى شيخه أن عليه أن يزين هذه النسبة، وألا يشينها، فيكون عفيفا عن أهل العلم، وعن حدود الله عز وجل ومحارمه، وعن العلماء. وأوصيه بتقوى الله في أهل العلم من السابقين والباقين، ممن قضوا ومضوا رحمة الله على الجميع، أوصي باحترامهم، وتوقيرهم، وحفظ حقوقهم، وكل إنسان محسوب على نفسه، وعندما يقال: هو من طلاب فلان، فلا يؤذي شيخه بل لا يؤذي حتى طلابه ويشينهم. وهذا أمر أحب أن

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ١/ ٦٦.

(٢) تلبيس إبليس لابن الجوزي١/ ٢٢١.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرضية لابن مفلح ٢/ ١٧٠.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ٨/ ٢٤٥.

أوصي به؛ لأن الزمان كثرت فيه الفتن، وإن شاء الله طلاب العلم هم أرفع من هذا كله، لكن كثرة الفتن والمحن توجب التنبيه على مثل هذه الأمور"[١].

كل هذه النصوص تبين أهمية توقير أهل العلم وحسن الخلق معهم، سواء كانوا أقران أو بين طلاب العلم ومعلميهم، أو بين طلبة العلم مع بعضهم.

ثانيا: محبة العلماء:

إن من أفضل القربات حب المؤمنين عامة؛ لقول النبي ﷺ: ((**ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله...**))[٢].

ويزداد أداء الفضل أكثر إذا كان هذا المؤمن عالما، لأن إجلال أهل العلم إجلال لما يحملونه من شرع الله عز وجل، وذلك لأنهم هم الوارثون للرسل والمبلغون شرائعهم من بعدهم.

يقول الشيخ محمد المختار الشنقيطي "ينبغي على طالب العلم أن يكون حريصاً على محبة العلماء، فإن من مفاتيح العلم محبة العلماء، ومن فقد محبة العلماء والقرب منهم، فإنه قد حرم خيراً كثيراً من العلم، فحبهم قربة، والدنو منهم قربة، وكذلك اعتقاد

---

(١) من مذكرة مفرغة من شرح زاد المستقنع - نسخة المكتبة الشاملة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (٤٣).

فضلهم ونشر علمهم وفتاويهم قربة من الله جل وعلا، وكان السلف يوصون طالب العلم بالحرص على القرب من الشيخ وحفظ علمه، ونشر فتاواه، والدعاء له بظهر الغيب. فينبغي على طالب العلم أن يحرص على هذه المرتبة التي تقربه من الله جل وعلا.

فحب العلماء الغالب فيه أن يكون خالصاً لوجه الله عز وجل، فمن أحبهم أحبهم لدين الله الذي في صدورهم، فقد جعلهم الله عز وجل أمناء على وحيه، هداة مهتدين إلى طاعته وسبيله ومرضاته، فحبهم طاعة وقربة، والجفوة التي بين طلاب العلم وبين العلماء لا تليق، ولذلك كانوا يثنون على كثير من السلف بحبهم للعلماء، وقلَّ أن تجد عالما نفع الله بعلمه إلا وجدته آية في حب عالمه، والقرب منه والاستفادة منه، وكان أصحاب النبي ﷺ لهم في ذلك الحظ الأوفر والمقام الأكبر رضوان الله عليهم، فقد كانوا أقرب الناس للنبي ﷺ.. فينبغي على من وفقه الله للخير أن يحرص على حب العلماء، وأئمة الإسلام أمواتهم وأحيائهم"[١].

فطالب العلم عندما يحب العلماء يحصل له أمران: الاول توقيرهم واحترامهم، وثانيا: الانتفاع بعلمهم، وثالثا: حب العلماء سبب من أسباب دخول الجنة، كما قال النبي ﷺ: ((**المرء مع من أحب**))[٢].

---

(١) من مذكرة مفرغة من شرح زاد المستقنع - نسخة المكتبة الشاملة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز وجل (٦١٦٨). ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب (٢٦٤١).

ثالثاً: الدعاء للعلماء:

من هدي السلف رحمهم الله الدعاء لعلمائهم الذين تعلموا تحت أيدهم، وهذا من شكر أهل الخير وأصحاب الفضل، لقول النبي ﷺ: ((**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**))[١].

وقول النبي ﷺ: ((**ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**))[٢].

ومن تطبيقات السلف لهذا الأمر قول أبي حنيفة: "ما صليت صلاة منذ مات حماد -بن أبي سليمان، شيخه- إلاَّ استغفرت له مع والديَّ، وإني لاستغفر لمن تعلمت منه علماً أو علمته علماً"[٣].

وقال أبو يوسف القاضي، تلميذ أبي حنيفة رحمهما الله: "إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبويَّ، وسمعت أبا حنيفة يقول: إني لأدعو لحماد مع والديَّ"[٤].

وقال أحمد بن حنبل عن شيخه وأستاذه الشافعي رحمهما الله: "الشافعي من أحباب قلبي، وقد باينا وبيناه، ما رأينا منه إلاَّ خيراً وكان شديد الاتباع للسنن"[٥].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (١٩٥٥) وقال: هذا حديث صحيح.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الزكاة، باب عطية من سأل بالله (١٦٧٤)، والنسائي في كتاب الزكاة، باب من سأل بالله عز وجل (٢٥٦٧) وصححه الألباني.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ـ٢/ ٢١٨.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ـ٢/ ٢١٩.

(٥) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ـ٢/ ٢٨٩.

قال عبدالله بن الإمام أحمد: قلت لأبي: "أي رجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟، فقال: يا بني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فانظر! هل لهذين من خلف، أو عنهما من عوض"[١].

قال إسحاق بن راهويه: "قلَّ ليلة إلاَّ وأنا أدعو فيها لمن كتب عني، ولمن كتبنا عنه"[٢].

وقال الحارث بن سُريج: "سمعت يحيى القطان يقول: أنا أدعو الله للشافعي، أخصه به"[٣].

قال الإمام أحمد: ما بت منذ ثلاثين سنة إلاَّ وأنا أدعو للشافعي، واستغفر له[٤].

قال ابن أبي حاتم: رأيت في كتاب عبدالرحمن بن عمر الأصبهاني، المعروف برسته إلى أبي زُرعة بخطه: "اعلم -رحمك الله- أني ما أكاد أنساك في الدعاء لك ليلي ونهاري: أن يمتِّع المسلمون بطول بقائك، فإنه لا يزال الناس بخير ما بقي من يعرف العلم، وحقه من باطله، وقد جعلك الله منهم"[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ـ١٠/ ٤٥.

(٢) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي - شرح الشخاوي ـ٣/ ٣٠١.

(٣) معرفة السنن والآثار للبيهقي ١/ ١٩٩ (٢٧٢).

(٤) وفيات الاعيان لابن خلكان ٤/ ١٦٤.

(٥) الجرح والتعديل للرازي ـ١/ ٣٤١.

رابعاً: ذم مجادلة العلماء:

قال الزهري: "كان سلمةَ يماري ابن عباس؛ فحُرم بذلك علماً كثيراً"(١).

وقال الحافظ ابن عبدالبر: "وروينا من وجوه كثيرة عن أبي سلمة -وكان يجادل ويماري ابن عباس- قال: لو رفقت بابن عباس لاستخرجت منه علماً كثيراً"(٢).

قال ميمون بن مهران: "لا تمار من هو أعلم منك، فإنك إن ماريته خزن عنك علمه، ولا يبالي ما صنعت"(٣).

قال أبو حازم: "لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم، أربعين فقيهاً، أدنى خصلة فينا التواسي بما في أيدينا، وما رأيت في مجلسه متماريين، ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا"(٤).

وقال ابن عباس ﷺ: "ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب محمد ﷺ، ما سألوه إلاَّ ثلاثة عشرة مسألة حتى قُبض"(٥).

مع التنبيه إلى الفرق بينه المجادلة والإلحاح في السؤال للمعرفة التي يترتب عليها عمل، فمفتاح العلم السؤال، فقد قيل لابن عباس ﷺ كيف أصبت هذا العلم؟ قال: "بلسان سؤول، وقلب عقول"(٦).

---

(١) جامع بيان العلم لابن عبدالبر ١/ ٥١٧.

(٢) المرجع السابق ١/ ٥١٩.

(٣) المرجع السابق ١/ ٥١٨.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ـ٥/ ٣١٦.

(٥) الموافقات للشاطبي ـ٤/ ٣١٤.

(٦) فضائل الصحابة للإمام أحمد ٢/ ٩٧٠.

خامسا: الصبر على ما يصدر من المشايخ:

قال ابن جماعة: "أن يصبر على جفوة تصدر من شيخه، أو سوء خلق، ولا يصده ذلك عن ملازمته، وحسن عقيدته، ويتأول أفعاله التي يظهر أن الصواب خلافها على أحسن تأويل، ويبدأ هو عند جفوة شيخه بالاعتذار والتوبة مما وقع، والاستغفار، وينسب الموجب إليه، ويجعل العتب عليه، فإن ذلك أبقى لمودة شيخه، وأحفظ لقلبه، وأنفع للطالب في دنياه وآخرته"(١).

قال بلال بن أبي بردة: "لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا، أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا"(٢).

قال أبو يوسف القاضي: "خمس يجب على الناس مداراتهم: الملك المتسلط، والقاضي المتأوِّل، والمريض، والمرأة، والعالم ليقتبس من علمه"(٣).

قال الشافعي: قيل لسفيان بن عيينة: "إن قوماً يأتونك من أقطار الأرض، تغضب عليهم؟ يوشك أن يذهبوا ويتركوك، قال: هم حمقى مثلك أن يتركوا ما ينفعهم لسوء خلقي!!"(٤).

قال المعافي بن عمران: "مثل الذي يغضب على العالم مثل الذي يغضب على أساطين -أي سوارى- الجامع"(٥).

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة صـ٩١.

(٢) جامع بيان العلم وفضله للخطيب البغدادي ـ١/ ٥٢٣.

(٣) المصدر السابق ـ١/ ٢٢٢.

(٤) المصدر السابق ١/ ٢٢٣.

(٥) المصدر السابق ١/ ٢٢٣.

ولله در القائل:

إن المعلـم والطبيــب كليهما

لا ينصحان إذا هما لم يكرمــا

فاصبر لدائـك إن جفوت طبيبه

واقنع بجهلك إن جفوت معلماً[١].

وهذا من باب حفظ الجميل ورد فضل الصحبة، قال الشافعي: "الحر من راعى وداد لحظة، وانتمى لمن أفاده لفظة"[٢].

ومن وصايا لقمان الحكيم لابنه: "جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، ولا تجادلهم، خذ منهم إذا ناولوك، والطف بهم في السؤال، ولا تضجرهم، إن تأذيت به صغيراً انتفعت به كبيرا"[٣].

سادسا: الحذر من الخوض في أعراض العلماء وتتبع زلاتهم، وإسقاطهم من أعين الناس:

قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة: ١١].

وأهل العلم من أولياء الله، والله تعالى توعد من عادى أولياءه، قال ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: ((**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**))[٤].

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ١/ ٦٧.

(٢) حاشية البيجوري في شرح جوهرة التوحيد ص ٤٢.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ـ٢/ ٧١ – ٧٢.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التواضع، باب الرقاق (٦١٣٧).

وروى الخطيب البغدادي عن الشافعي وأبي حنيفة ﷺ قالا: "إن لم يكن الفقهاء أولياء الله فليس لله ولي"[١].

قال الحافظ ابن عساكر ناصحاً لإخوانه المسلمين، ومحذراً من الطعن والتشكيك في العلماء العاملين، والأئمة المهتدين: "اعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب"[٢].

ورحم الله إبراهيم بن أدهم إذ يقول: "كنا إذا رأينا الشاب يتكلم مع المشايخ في المسجد أيسنا من كل خير عنده"[٣]. والمقصود بقوله "يتكلم" أي يجادل ويماري ويتتبع زلاتهم ويعارضهم.

فتصور أخي طالب العلم المرتحل - وغير المرتحل - بمن فسد قلبه هل سيستفيد من علم، بل هل سيقبل العلم، الإجابة: بلا. لأن الحديث في الأعراض يُشْغِل وقت طالب العلم بما لا يفيد، وهو ضرب من ضروب الغيبة بل من أعظمها لأن لحوم العلماء مسمومة، لأن في انتقاصهم انتقاص للعلم وأهل العلم، والله تعالى يرفع أهل العلم في الدنيا والآخرة.

---

(١) السراج المنير لمحمد بن أحمد الشربيني ٢/ ٢٣.

(٢) المجموع في شرح المهذب للنووي ١/ ٢٤.

(٣) الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع للخطيب البغدادي ١ / ٢٠١.

قال الشيخ بكر أبو زيد: "وإذا بدا لك خطأ من الشيخ، أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينك، فإنه سبب لحرمانك من علمه"(١).

ما أحسن ما قال سعيد بن المسيب كما قال السخاوي: "ليس من شريف، ولا عالم، ولا ذي فضل -يعني من غير الأنبياء عليهم السلام- إلاَّ وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه، وهب نقصه لفضله"(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وليس لأحد أن يتتبع زلات العلماء، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل، فإن الله تعالى عفا للمؤمنين عما أخطأوا، كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة ٢٨٦]"(٣).

ويقول الشاطبي: "إن زلة العالم لا ينبغي أن يشنع عليها، ولا ينتقص من أجلها، أو يعتقد فيه الإقدام على المخالفة بحثاً، فإن هذا كله خلاف ما تقتضي رتبته في الدين"(٤).

قال أبو العباس الحسن بن سفيان: "اتق الله في المشايخ، فربما أستجيبت فيك دعوة"(٥).

---

(١) حلية طالب العلم لبكر أبو زيد صـ٣٦.

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ - للسخاوي صـ١١٨

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٢/ ٢٣٩).

(٤) الموافقات للشاطبي (٥/ ١٣٦).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/ ١٥٩).

ورحم الله الخليل بن أحمد القائل:

اعمل بعلمي وإن قصَّرت في عملي

ينفعك علمي ولا يضرك تقصيري[١].

وقال ابن عبدالبر: "إلى الله الشكوى وهو المستعان على أمة نحن بين أظهرها، تستحل الأعراض والدماء، إذا خولفت فيما تجيء به من الأخطاء"[٢].

سابعا: الحذر من التعصب والتقليد للشيوخ:

من أخطر ما يقع فيه طلاب العلم التعصب والتقليد للشيوخ، مع العلم أن العلماء غير معصومين، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، والخطأ في الاجتهاد وارد.. ولذا لا بد أن يتربى طلاب العلم على ذلك.

قال الماوردي: "ولا ينبغي للمتعلم أن تبعثه معرفة الحق له على قبول الشبهة منه، ولا يدعوه ترك الإعنات له على التقليد فيما أخذ عنه، فإنه ربما غلا بعض الأتباع في عالمهم حتى يروا أن قوله دليلٌ، وإن لم يستدل، وأن اعتقاده حجة؛ وإن لم يحتج، فيفضي بهم الأمر إلى التسليم فيما أخذ.

ولقد رأيت من هذه الطبقة رجلاً يناظر في مجلس، وقد استدل عليه الخصم بدلالة صحيحة، فكان جوابه عنها أنه قال: هذه دلالة فاسدة، ووجه فسادها أن شيخي لم يذكرها، وما لم يذكره الشيخ فلا خير فيه، فأمسك عنه المستدل تعجباً"[٣].

---

(١) محاضرات الأدباء للراغب الصفهاني ١/ ١٦٩.

(٢) التمهيد لابن عبدالبر ١٤/ ٣٤٤.

(٣) أدب الدين والدنيا للماوردي ـ ٢٩.

وقال ابن مسعود: "ألا لا يقلدنا أحدكم دينه رجلاً إن آمنَ آمن، وإن كفرَ كفر، فإنه لا أسوة في الشر"(١).

وقال أبو حنيفة: "لا يحلُّ لمن يُفتي من كُتُبي أن يُفتي حتى يعلم من أين قلتُ"(٢).

قال أبو حامد الغزالي في ذم التعصب: "وهذه عادة ضعفاء العقول؛ يعرفون الحق بالرجال، لا الرجال بالحق"(٣).

فالأصل أن يكون لدى طلاب العلم ميزان يقيمون به آراء العلماء، وهو مدى ارتباطهم بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.. فمن وافق الدليل بفهم سليم غير شاذ لفهم السلف قبل منه وإلا رد عليه قوله بأدب وتقدير وحسن ظن.

ثامناً: المناصحة للعلماء:

قال عمر بن الخطاب ﷺ: "رحم الله امرءاً أهدى إليَّ عيوبي"(٤).

وهذا إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل يقول: "لا نزال بخير ما كان في الناس من ينكر علينا"(٥).

وموقف عمر بن عبدالعزيز مع مربيه صالح بن كيسان رحمهم الله، حين قال له: كيف كانت طاعتي إياك وأنت تؤدبني؟! قال:

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٥٩).

(٢) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة لابن عبدالبر ص ١٤٥.

(٣) المنقذ من الضلال لأبي حامد الغزالي ص٣٠.

(٤) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣ / ٢٩٣، وأخرجه الدارمي برقم (٦٧٥).

(٥) الآداب الشرعية لابن مفلح ـ١/ ١٩٥٠.

أحسن طاعة، قال: فأطعني الآن كما كنت أطيعك، خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك، ومن ثوبك حتى تبدو عقباك[١].

وقال ابن وهب وهو من كبار تلاميذ الإمام مالك رحمهم الله: "سمعت مالكاً سئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء؟، فقال: ليس ذلك على الناس، قال ابن وهب: فتركته حتى خف الناس -أي انصرفوا- فقلت له: عندنا في ذلك سنة، فقال: وما هي؟، قلت: حدثنا الليث بن سعد وابن لهيعة وعمرو بن الحارث عن يزيد بن عمرو المعافري عن أبي عبدالرحمن الحُبُلي عن المستورد بن شداد القرشي، قال: ((**رأيت رسول الله يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه**))، قال مالك: إن هذا الحديث حسن، وما سمعت به قط إلاَّ الساعة، ثمَّ سمعته بعد ذلك يُسأل فيأمر بتخليل الأصابع"[٢].

وحكى عبدالرحمن بن مهدي عن شيخه عبيد الله بن الحسن العنبري رحمهم الله قائلاً: كنا في جنازة فسألته عن مسألة، فغلط فيها، فقلت له: أصلحك الله، القول فيها: كذا وكذا، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه، فقال: إذاً أرجع وأنا صاغر، لأن أكون ذَنَباً في الحق أحب إليَّ من أن أكون رأْسَاً في الباطل[٣].

قال أبوبكر بن العربي: أخبرني محمد بن قاسم العثماني أنه حضر مجلس الشيخ أبي الفضل الجوهري رحمهم الله، فقال في مجلس له:

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة جـ١/ ٤١٩.

(٢) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم صـ٢٥ - ٢٦.

(٣) تهذيب التهذيب لابن حجر جـ٧/ ٧.

"إن النبي طلق وظاهر وآلى"، فقال له تلميذه العثماني: سمعتك تقول: "آلى رسول الله وصدقت، وطلق رسول الله وصدقت، وقلت ظاهر رسول الله وهذا لم يكن ولا يصح أن يكون؛ لأن الظهار منكر من القول وزور، وذلك لا يجوز أن يقع من النبي ﷺ، فضمني إلى نفسه وقبَّل رأسي، وقال لي: أنا تائب من ذلك جزاك الله عني من معلم خيراً، وفي اليوم التالي عندما دخلت الجامع قال لي: مرحباً بمعلمي، وأفسحوا لمعلمي"[١].

حكيَ أن رجلاً من البصرة حج، فجلس بمجلس عطاء بن أبي رباح، فقال: "سمعت الحسن يقول: من كان فيه ثلاث خصال لم أتحرج أن أقول إنه منافق، فقال له عطاء: إذا رجعت له فقل له: عطاء يقرؤك السلام، ويقول لك: ما تقول في إخوة يوسف إذ حدثوا فكذبوا، ووعدوا فاخلفوا، وائتمنوا فخانوا، أكانوا منافقين؟! ففعل فسر الحسن، وقال: جزاه الله خيراً. وقال لأصحابه إذا سمعتم مني حديثاً، فاصنعوا كما صنع أخوكم، حدثوا به العلماء فإن كان صواباً فحسن، وإذا كان غير ذلك فردوه عليَّ"[٢].

ومن هنا فلا بد لطالب العلم من البحث والسؤال والتحري إن أشكل عليه أمر سمعه من شيخه، فإذا ظهر له وجه الصواب حدث به شيخه ونصحه.

وكذلك على طلاب العلم أن يتربوا على قبول النصيحة، لأنهم اليوم طلاب علم وغدا علماء.

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٤٩.

(٢) فيض القدير لعبدالرؤوف المناوي ١/ ٦٣.

المبحث الثالث

مفسدات الرحلة في طلب العلم

للرحلة في طلب العلم مفسدات وأمراض فتَّاكة، لو أصيب بها طالب العلم ولم يسارع في علاجها لقضت على رحلته، ولرجع منها كما ذهب، حتى ولو رجع بعلم -ما- فلن يبارك الله له فيه بسبب تلك المفسدات والأمراض التي تخسره دنياه وآخرته.

وهي كثيرة ومن أهمها باختصار:

١ - فساد النية:

وفساد النية هو مخالف لأصل طلب العلم وأصل الدين، وهو التعبد لله تعالى، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾[الأنعام: ١٦٢]. ففساد النية مخالف للإخلاص، وإذا وقع الإنسان في مخالفة الإخلاص فقد أفسد عمله، وأصبح لا قيمة له في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣].

وفساد النية له صور كثيرة، ويجمعها أنه مناقض للإخلاص **كحب الشهرة والتصدر**، وهو داء وبيل لا يسلم منه إلا من عصمه الله، كما قال الشاطبي: "يعسر خروج حب الرئاسة من القلب اذا انفرد حتى قال الصوفية حب الرئاسة آخر ما يخرج من قلوب الصديقين"[(١)].

(١) الاعتصام للشاطبي ١/ ١٤٨.

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**إن أول الناس يقضى يوم القيامة – إلى أن قال – ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرَّفَهُ نعمه فعرفها. قال فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار..**))[(١)].

٢ - ترك العمل بالعلم:

وهذا الأمر خطره عظيم على طلاب العلم، وقد ذمه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢ – ٣].

وقال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٥ – ١٧٦].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار(١٩٠٥).

قال ابن القيم: "فهذا مثل عالم السوء الذي يعمل بخلاف علمه"[(١)].

نعم: "إنه مثل لكل من آتاه الله من علم الله فلم ينتفع بهذا العلم ولم يستقم على طريق الإيمان. وانسلخ من نعمة الله. ليصبح تابعاً ذليلاً للشيطان. ولينتهي إلى المسخ في مرتبة الحيوان!".

ولذا كان جزاءه في النار ما قاله رسول الله ﷺ: ((**يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابه في النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان ما شأنك؟ أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**))[(٢)].

٣ - مدح طالب العلم لنفسه:

لا ينبغي لطالب العلم أن يذكر نفسه بالمدح ويضفي على نفسه ألقاباً، أو أن يفرح بثناء الناس عليه، والله تعالى يقول في ذم من هذا شأنه: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، ونهى عباده المؤمنين عن هذا الداء في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم: ٣٢].

قوله: "﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ أي: تخبرون الناس بطهارتها على وجه التمدح ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴾ فإن التقوى، محلها القلب،

---

(١) بدائع التفسير لابن القيم (٢/ ٣١٢).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة (٣٢٦٧).

والله هو المطلع عليه، المجازي على ما فيه من بر وتقوى، وأما الناس، فلا يغنون عنكم من الله شيئا"[١].

ويقول الإمام الرازي: "إشارة إلى وجوب الخوف من العاقبة أي لا تقطعوا بخلاصكم أيها المؤمنون فإن الله يعلم عاقبة من يكون على التقوى"[٢].

ويقول الشيخ العثيمين: "والتزكية التي يذم عليها أن يدل بعمله على ربه ويمدح، وكأنه يمن على الله، يقول: صليت، وتصدقت، وصمت، وحججت، وجاهدت، وبريت والدي وما أشبه ذلك"[٣].

٤ - اليأس:

إن اليأس وعدم الثقة بالنفس سبب عظيم من أسباب عدم التحصيل، والإنسان إذا رأى ما أنعم الله عليه من سلامة الجوارح ومن توفير الوسائل التي يحتاجها طالب العلم؛ يجد أن حجة الله عليه قائمة، فلا ييأس طالب العلم من نفسه إذا كان ضعيف الحفظ أو ضعيف الفهم أو بطيء القراءة أو سريع النسيان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾[يوسف: ٨٧].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٨٢١.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٢٩/ ١٠.

(٣) تفسير جزء الذاريات لابن عثيمين ص٢٥٧.

وهذا اليأس له أسبابه، ومن أهمها: الاستعجال والدخول في هذا العلم بعجلة دون تدرج، والرسول ﷺ يقول: ((**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**))[١].

٥ - التسويف:

التسويف: وهو آفة تدمر الوقت وتقتل العمر، وللأسف فقد أصبحت كلمة "سوف" شعاراً لكثير من الناس وطابعاً لهم، وهو كما يقول بعض السلف: "من جنود إبليس"[٢] والتسويف والأماني وصفها ابن القيم بقوله: "إنّ المنى رأس أموال المفاليس"[٣].

وعن الحسن قال: "إياك والتسويف، فإنك بيومك ولست بغدك، فإن يكن غداً لك فكن في غدٍ كما كنت في اليوم، وإن لم يكن لك غد لم تندم على ما فرطت في اليوم"[٤].

وكتب محمد بن سمرة السائح إلى يوسف بن أسباط يقول: "أي أخي! إياك وتأمير التسويف على نفسك، وإمكانه من قلبك، إنه محل الكلال، وموئل التلف، وبه تقطع الآمال، وفيه تنقطع الأجيال، فإنك إن فعلت ذلك أَدَلته من عزمك وهواك عليه فعلاً، واسترجعا من

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب الدين يسر (٣٩).

(٢) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ص١١٤.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٤٥٦ - ٤٥٧.

(٤) قصر الأمل لابن أبي الدنيا برقم (٢١٩).

بدنك من السآمة ما قد وَلّى عنك، فعند مراجعته إياك لا تنفع نفسك من بدنك بنافعة، وبادر يا أخي فإنك مُبَادرٌ بك، وأسرع فإنك مسروع بك، وجِدّ فإن الأمر جد، وتيقظ من رقدتك، وانتبه من غفلتك"(١).

وأوصى بعض الحكماء ابنه فقال له: "يا بني إياك والتسويف لما تهم به من فعل الخير، فإن وقته إذا زال لم يعد إليك، واحذر طول الأمل فإنه هلاك الأمم"(٢).

٦ - الاستعجال في طلب العلم:

قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾[القيامة: ١٦-٢١]. فنهى الله نبيه عن الاستعجال في الحفظ فقوله تعال: ﴿لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ "أي بحمله وأخذه قبل أن يفرغ من إلقائه إليك رسولنا جبريل عليه الصلاة والسلام مخافة أن ينفلت منك"(٣).

قال الألوسي: " ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ تعميم الخطاب للكل، كأنه قيل: بل أنتم يا بني آدم لما خلقتم من عَجَل وجبلتم عليه، تعجلون في كل شيء، ولذا ﴿تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ فعادة بني آدم الاستعجال ومحبة العاجلة.

---

(١) صفوة الصفوة للصابوني برقم (٧٦٥).

(٢) المجالسة وجواهر العلم - أحمد بن مروان بن محمد الدينوري ص٤٢٤.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٨/ ٢٤٩.

وفيه أيضاً: أن الإنسان وإن كان مجبولاً على ذلك إلا أن مثله عليه الصلاة والسلام ممن هو في أعلى منصب النبوة لا ينبغي أن يستفزه مقتضى الطباع البشرية، وأنه إذا نُهى ﷺ عن العجلة في طلب العلم والهدى فهؤلاء -المشركون- دينهم حب العاجلة وطلب الردى، كأنهم نُزِّلوا منزلة من لا ينجع فيهم النهي، ومنه يعلم أن هذا متصل بقوله سبحانه: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾[القيامة:٥]"[(١)].

٧ - الاستعجال في التصدر والفتيا:

قال الإمام مالك: "لا ينبغي للرجل أنْ يرى نفسه أهلاً لشيء حتى يسأل من كان أعلم منه، وما أفتيت حتى سألت ربيعة ويحيى بن سعيد فأمراني بذلك، ولو نهياني لانتهيت"[(٢)].

وقال كذلك: "ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للتحديث والفتيا جلس، حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل، وأهل الجهة من المسجد، فإن رأوه أهلاً لذلك جلس، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخاً من أهل العلم أني موضع لذلك"[(٣)].

قال الشافعي: "إذا تصدر الحدث فاته علم كثير"[(٤)].

---

(١) روح المعاني للألوسي٢٩/ ١٧٩بتصرف يسير، وينظر: المستقصى من أمثال العرب للزمخشري ١/ ٤٢٠.

(٢) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ـ٢/ ١٥٤.

(٣) الديباج المذَّهب في علماء المذهب لابن فرحون صـ٢١.

(٤) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي ـ٢/ ٦٨.

ورحم الله أبا حنيفة حيث قال: "دخلت البصرة وظننت أني لا أسأل عن شيء إلاَّ أجبت فيه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي فيها جواب، فجعلت على نفسي ألاَّ أفارق حماد حتى يموت، فصحبته ثماني عشرة سنة"[١].

٨ - التباغض والتحاسد بين الطلاب:

التباغض هو: "الكره والمقت، تقول تباغض القوم أي كره ومقت بعضهم بعضاً"[٢]. قال ﷺ: ((**لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث**))[٣]. أي لا يكره بعضكم بعضاً.

والحسد نوعان: محمود ومذموم، فالمذموم هو: تمني زوال النعمة عن الغير، وهذا ظلمٌ وبغيٌ وعدوان. أما المحمود فهو: الغبطة، وهي تمني مثل نعمة الغير من غير زوالها، وهي المقصودة في قول النبي ﷺ: ((**لا حسدَ إلا في اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل، ورجل أعطاه الله مالاً فهو يتصدق به آناء الليل والنهار**))[٤].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣/ ٣٣٣.

(٢) المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية (٦٤) مادة (بغض).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب اغتباط صاحب القرآن (٥٠٢٥). ومسلم في كتاب الصلاة باب فضائل من يقوم بالقرآن ويعلمه (٨١٥).

ومن علامات الحسد المذموم: أن يفرح بخطأ قرينه، أو بغيابه، أو بعدم حضوره في أمر ينازعه فيه، أو يُسَرَّ إذا لُمِز قرينه أو ثُلِب، أو أن يُعَرِّض بقرينه إذا سُئل عنه، وكذلك الحزن إذا سافر قرينه لطلب العلم ولم يسافر هو، أو تم اختيار زميله للسفر لطلب العلم ولم يُختر هو، وغير ذلك من صور التباغض والحسد بين القرناء من المرتحلين لطلب العلم.

٩ - الطمع في الدنيا وبما في أيدي الناس:

قال ﷺ: ((ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ))[١].

فلا شك أن طالب العلم الذي يتطلع لما في أيدي الناس لن يحبه الناس، والذي يزهد فيما في أيدي الناس تُجِله الناس، وتجعل له تقديرًا لائقًا به، لذلك لا ينبغي لطالب العلم أن يتطلع لما في أيدي الناس.

وإذا ألمت بطالب العلم مصيبة؛ فليطلب مشورة أخيه، ولا يطلب منه حاجة، فهو إن كان يُعِزّه ويعرف قدره؛ فسينبري لمساعدته، ولا حاجة للطلب وإراقة ماء الوجه.

١٠ - ضياع الأوقات:

وهذا أمر عمت به البلوى بين طلاب العلم، وهذا الضياع للأوقات له صور من أهمها: الرحلة لطلب علم موجود في نفس

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٤٨ح(٧٨٧٣) وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/ ٣٤٤.

البلد التي بها طالب العلم، فيضيع الوقت في السفر والترحال ولو بذل ذلك الوقت في علم آخر لاستفاد.

وكذلك ضياع الأوقات في القيل والقال، وغيبة العلماء، وطلاب العلم، وكذلك السهر الطويل الذي يضيع وقت البكور بعد الفجر؛ وهو من أهم أوقات طلب العلم.

١١ - نسيان العلم:

وذلك بترك المراجعة، والممارسة العلمية والتعليمية، أو التشاغل عن العلم بما هو دونه، وهذا النسيان نبه عليه العلماء وحذروا منه كثيراً، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "تزاوروا وتذاكروا الحديث، فإنكم إن لم تفعلوا يدرس"(١).

وقال ابن جماعة الكتاني: "لا بد لكل حافظ من أوقات يكرر فيها مواضيه ويراجعها، وإلا كلفه النسيان شططا"(٢).

وعلاج نسيان العلم بأمور كثيرة من أهمها: مداومة ذكر الله تعالى في كل وقت وعلى كل حال قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤]. وهذا من أعظمها ومن أهمها.

وكذلك البعد عن المعاصي، وتدريب العقل وتنشيط الذاكرة، وكتابة المحفوظ ولو أكثر من مرة، ومذاكرة العلم سواء مع الزملاء أو مع نفسه، والتعليم، وأكل ما يعين على قوة الحفظ، وتنظيم الوقت، ومعرفة سِيَرِ الحفاظ كي تعلو الهمة(٣).

---

(١) جامع بيان العلم لابن عبد البر ١/ ٦٢٣.

(٢) تذكرة السامع لابن جماعة ص١٢٣.

(٣) انظر مقال بعنوان: وصايا لقوة الحفظ وعلاج النسيان في موقع ملتقى أهل الحديث في الأرشيف بتاريخ:١/ ٦/ ٢٠٠٤.

١٢ - المعاصي:

قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم ٤١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴾ [الشورى ٣٠]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة ٩١] وكان الفضيل بن عياض يقول: "إني لأعصى الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وجاريتي"(١).

فالشيطان بإغوائه لابن آدم بالمعصية أو الصد عن ذكر الله وعن الصلاة يجعل قلب طالب العلم في خصومة دائمة مع العلم؛ لأن من لم يصلح حاله بينه وبين الله فلن يعطى نور الله.

وورد عن الشافعي أنه قال:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال: اعلم بأن العلم نورٌ
ونور الله لا يؤتى لعاصي(٢)!

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ١/ ٢٠، جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/ ١٨٧.

(٢) ديوان الشافعي ص٦١.

قال سهل بن عبدالله التستري: "حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين، وفيه سكون إلى غير الله، وحرام على قلب أن يدخله النور، وفيه شيء مما يكره الله عز وجل"(١).

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. أي: "أن تقوى الله، وسيلة إلى حصول العلم، وأوضح من هذا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩]، أي: علما تفرقون به بين الحقائق، والحق والباطل"(٢).

(١) الزهد والرقائق للخطيب البغدادي ص ٥٩.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٩٦١.

المبحث الرابع

نموذج في وصية الحسن بن سفيان النسوي لطلابه

حدث الفقيه أبو الحسن الصفار قال: كنا عند الشيخ الإمام الحسن بن سفيان النسوي، وقد اجتمع لديه طائفة من أهل الفضل ارتحلوا إليه من أطباق الأرض، مختلفين إلى مجلسه لاقتباس العلم، وكتابة الحديث، فخرج يوماً إلى مجلسه الذي كان يملي فيه الحديث فقال: اسمعوا ما أقول لكم قبل أن نشرع في الإملاء، قد علمنا أنكم طائفة من أبناء النعم وأهل الفضل، **هجرتم أوطانكم وفارقتم دياركم** وأصحابكم في طلب العلم واستفادة الحديث، **فلا يخطرن ببالكم أنكم قضيتم بهذا التجشم للعلم حقاً**، أو أديتم بما تحملتم من الكلف والمشاق من فروضه فرضاً، **فإني أحدثكم ببعض ما تحملته في طلب العلم** من المشقة والجهد، وما كشف الله سبحانه وتعالى عني وعن أصحابي ببركة العلم وصفوة العقيدة من الضيق والضنك.

اعلموا أني كنت **في عنفوان شبابي ارتحلت من وطني لطلب العلم** واستملاء الحديث، فاتفق حصولي بأقصى المغرب وحلولي بمصر في تسعة نفر من أصحابي طلبة العلم وسامعي الحديث، وكنا نختلف إلى **شيخ كان أرفع أهل عصره في العلم منزلة**، وأدراهم للحديث، وأعلاهم إسناداً، وأصحهم رواية، فكان **يملي علينا كل يوم مقداراً يسيراً** من الحديث، حتى طالت المدة وخفت

النفقة، ودفعت الضرورة إلى بيع ما صحبنا من ثوب وخرقة، إلى أن لم يبق لنا ما كنا نرجو حصول قوت يوم منه.

وطوينا ثلاثة أيام بلياليها جوعاً وسوء حال، وأصبحنا بكرة اليوم الرابع بحيث لا حراك بأحد من جملتنا من الجوع وضعف الأطراف، وأحوجت الضرورة إلى كشف قناع الحشمة، وبذل الوجه للسؤال، **فلم تسمح أنفسنا بذلك** ولم تطب قلوبنا به، وأنف كل واحد منا عن ذلك، والضرورة تحوج إلى السؤال على كل حال، فوقع اختيار الجماعة على كتابة رقاع بأسامي كل واحد منا، وإرسالها قرعة، فمن ارتفع اسمه من الرقاع كان هو القائم بالسؤال واستماحة القوت لنفسه ولأصحابه، فارتفعت الرقعة التي فيها اسمي، فتحيرت ودهشت.

ولم تسامحني نفسي بالمسألة واحتمال المذلة، فعدلت إلى زاوية من المسجد أصلي ركعتين طويلتين، قد اقترن الاعتقاد فيهما بالإخلاص، **أدعو الله سبحانه بأسمائه العظام وكلماته الرفيعة، لكشف الضر وسياقة الفرج**، فلم أفرغ بعد عن إتمام الصلاة، حتى دخل المسجد شاب حسن الوجه، نظيف الثوب، طيب الرائحة، يتبعه خادم في يده منديل فقال: من منكم الحسن بن سفيان؟ فرفعت رأسي من السجدة فقلت: أنا الحسن بن سفيان، فما الحاجة؟ فقال: إن الأمير ابن طولون صاحبي يقرؤكم السلام والتحية، ويعتذر إليكم في الغفلة عن تفقد أحوالكم، والتقصير الواقع في رعاية حقوقكم، **وقد بعث بما يكفي نفقة الوقت**، وهو

زائركم غداً بنفسه، ويعتذر بلفظه إليكم ووضع بين يدي كل واحد منا صرة فيها مئة دينار. فتعجبنا من ذلك جداً، وقلنا للشاب: ما القصة في هذا؟

فقال: أنا أحد خدم الأمير ابن طولون المختصين به، دخلت عليه بكرة يومي هذا مسلماً في جملة من أصحابي، فقال لي وللقوم: أنا أحب أن أخلو يومي هذا فانصرفوا أنتم إلى منازلكم، فانصرفت أنا والقوم. فلما عدت إلى منزلي أتاني رسول الأمير مسرعاً مستعجلاً يطلبني حثيثاً، فأجبته مسرعاً فوجدته منفرداً في بيته، واضعاً يمينه على خاصرته لوجع ممضّ اعتراه في داخل جسده، فقال لي: أتعرف الحسن بن سفيان وأصحابه؟ فقلت: لا. فقال: اقصد المحلة الفلانية والمسجد الفلاني، واحمل هذه الصرر وسلمها في الحين إليه وإلى أصحابه، فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع بحالة صعبة، ومهّد عذري لديهم وعرّفهم أني صبيحة الغد زائرهم، ومعتذر شفاهاً إليهم.

فقال الشاب: سألته عن السبب الذي دعاه إلى هذا فقال: دخلت هذا البيت منفرداً علّي أن أستريح ساعة. فلما هدأت عيني رأيت في المنام فارساً في الهواء، متمكناً تمكّن من يمشي على بساط الأرض، وبيده رمح، قضيت العجب من ذلك، وكنت أنظر إليه متعجباً، حتى نزل إلى باب هذا البيت، ووضع سافلة رمحه على خاصرتي فقال: قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه، قم وأدركهم، قم وأدركهم، فإنهم منذ ثلاثة جياع في المسجد الفلاني.

فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا رضوان صاحب الجنة. ومنذ أصاب سافلة رمحه خاصرتي أصابني وجع شديد لا حراك بي له، فعجل إيصال هذا المال ليزول هذا الوجع عني.

قال الحسن: فتعجبنا من ذلك، وشكرنا الله سبحانه وتعالى، وأصلحنا أمورنا، **ولم نطب نفساً بالمقام، حتى لا يزورنا الأمير ولا يطلع الناس على أسرارنا**، فيكون ذلك سبب ارتفاع اسم وانبساط جاه، ويتصل ذلك بنوع من الرياء والسمعة، وخرجنا تلك الليلة من مصر، وأصبح كل واحد منا واحد عصره وفريد دهره في العلم والفضل.

فلما أصبح ابن طولون أتى المسجد لزيارتنا وطلبنا، وأحسّ بخروجنا، **وأمر بابتياع تلك المحلة بأسرها، ووقفها على ذلك المسجد وعلى من ينزل به من الغرباء وأهل الفضل وطلبة العلم نفقة لهم، حتى لا تختل أمورهم، ولا يصيبهم من الخلل ما أصابنا، وذلك كله بقوة الدين وصفوة الاعتقاد**[١].

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ١٣/ ١٠٥ باختصار يسير.

الفصل الرابع

نماذج في الرحلة لطلب العلم

وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول: نماذج من رحلات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

المطلب الأول: إبراهيم عليه السلام يهاجر إلى ربه يلتمس الهداية.

المطلب الثاني: موسى عليه السلام يرحل لطلب العلم.

المطلب الثالث: النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج.

المبحث الثاني: نماذج من رحلة الصحابة في طلب العلم.

المبحث الثالث: نماذج من رحلات التابعين وعلماء السلف في طلب العلم.

تمهيد:

أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالاقتداء بالأنبياء السابقين قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقص الله تعالى علينا في كتابه قصصاً هدفها الاعتبار والاقتداء وأخذ العظة قال تعال: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦ ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال تعال: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١١١ ﴾ [يوسف: ١١١].

وأمرنا صلى الله عليه بالأخذ بسنته وسنة الخلفاء من بعده: فقال ﷺ: ((**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعَضوا عليها بالنواجذ**))[(١)].

وفي هذا الفصل سنعرض نماذج من رحلات من أوصى الله ورسوله بالاقتداء بهم نقصص قصصهم لعل الله تعالى أن يلهمنا الاقتداء والعمل.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/ ١٢٦ (١٧١٨٤) قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح ورجاله ثقات.

المبحث الأول

نماذج من رحلات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

المطلب الأول

إبراهيم عليه السلام يهاجر إلى ربه يلتمس الهداية

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [العنكبوت٢٦]. وقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الصافات ٩٩].

قال أهل التفسير: أي مهاجر "إلى حيث أمرني، أو: حيث أتجرد فيه لعبادته عز وجل، ولكي يهديني ربي إلى ما فيه صلاح ديني، أو: إلى مقصدي"(١)، "فإنه قد هداه من قبل وإنما أراد سيديم هدايته إياي"(٢).

"فهذه الآية أصل في الهجرة والعزلة، وأول من فعل ذلك إبراهيم عليه السلام، وذلك حين خلصه الله من النار فقال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ أي: مهاجر من بلد قومي ومولدي إلى حيث أتمكن من عبادة ربي، فيما نويت إلى الصواب"(٣).

فإبراهيم عليه السلام "هاجر إلى ربه متخففاً من كل شيء، طارحاً وراءه كل شيء، مسلماً نفسه لربه لا يستبقي منها شيئاً،

(١) روح المعاني للألوسي ١٧/ ١٩٥.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٣/ ٣٥٤.

(٣) أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي ٤/ ٢٣٩.

موقن أن ربه سيهديه، وسيرعى خطاه، وينقلها في الطريق المستقيم".

فيعلم من أقوال العلماء في تفسير هذه الآية أَنّ "إبراهيم عليه السلام هاجر إلى ربه ليدله إلى ما فيه الخير له، من أمر دينه ودنياه"[(١)]، فلا خير ولا وصلاح ولا هداية تحصل إلا بالعلم.

المطلب الثاني

رحلات موسى عليه السلام لطلب العلم

أولًا: رحل موسى عليه السلام للقاء ربه والتلقي منه:

قال تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ۚ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢ - ١٤٣].

أخرج ابن جرير بسنده عن ابن جريج في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾، الآية: "لما نجى الله موسى عليه السلام من البحر وغَرَّق آل فرعون، وخلص إلى الأرض الطيبة، أنزل الله عليهم فيها المنّ والسلوى، وأمره ربه أن

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٧٠٥) بتصرف.

يلقَاه، فلما أراد لقاء ربه، استخلف هارون على قومه، وواعدهم أن يأتيهم إلى ثلاثين ليلة، فتوجه ليلقى ربه.."[١].

وقال ابن إسحاق: "استخلف موسى هارون على بني إسرائيل وقال: إني متعجل إلى ربي، فاخلفني في قومي، ولا تتبع سبيل المفسدين. فخرج موسى إلى ربه متعجلا للقيّه شوقًا إليه.. فلما كلم الله موسى، طمع في رؤيته، فسأل ربه أن ينظر إليه، فقال الله لموسى: إنك ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال ابن إسحاق: فهذا ما وصل إلينا في كتاب الله عن خبر موسى لما طلب النظر إلى ربه، وأهل الكتاب يزعمونَ: أنْ قد كان لذلك تفسير وقصة، ومراجعه لم تأتنا في كتاب الله ولا في سنة رسول الله، والله أعلم"[٢]، فلذلك لا نريد الخوض في ذلك ولكن يكفينا بيان أصل المبدأ وهو الرحلة في طلب العلم.

ثانياً: ورحل موسى عليه السلام مع خيار قومه:

قال تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

---

(١) جامع البيان للطبري ١٠/ ٤١٦ - ٤١٧ مختصراً.

(٢) جامع البيان للطبري ١٠/ ٤٢٠ مختصراً.

عن محمد بن إسحاق قال: "لما رجع موسى إلى قومه، ورأى ما هم فيه من عبادة العجل، وقال لأخيه وللسامري ما قال، وحرق العجل وذراه في اليم، اختار موسى منهم سبعين رجلا الخيِّر فالخيِّر، وقال: انطلقوا إلى الله عز وجل، فتوبوا إليه مما صنعتم، وسلوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم؛ صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم. فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقَّتَهُ له ربه، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم. فقال له السبعون - فيما ذكر لي - حين صنعوا ما أمرهم به، وخرجوا للقاء ربه: يا موسى، اطلب لنا إلى ربك نسمع كلام ربنا، قال: أفعل. فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود غمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا. فضرب دونه الحجاب. ودنا القوم، حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا، فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل، ولا تفعل. فلما فرغ إليه من أمره، انكشف عن موسى الغمام. فأقبل إليهم، فقالوا لموسى: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، فأخذتهم الرجفة - وهي الصاعقة - [فافتلتت أرواحهم] فماتوا جميعا. وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول: ﴿قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ﴾ [الأعراف: ١٥٥]! قد سفهوا، أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما تفعل السفهاء منا؟ - أي: إن هذا لهم هلاك، اخترت منهم سبعين رجلاً الخير فالخير، أرجع إليهم وليس معي منهم

رجل واحد! فما الذي يصدقوني به أو يأمنوني عليه بعد هذا؟ ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[الأعراف: ١٥٦]. فلم يزل موسى يناشد ربه عز وجل ويطلب إليه، حتى رد إليهم أرواحهم، فطلب إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل، فقال: لا إلا أن يقتلوا أنفسهم"[(١)].

ثالثاً: رحلة موسى عليه السلام للخضر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ إلى أن قال: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾[الكهف: ٦٠ – ٦٦].

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: ((**بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل إذ جاءه رجل فقال هل تعلم أحد أعلم منك؟ قال موسى لا فأوحى الله عز وجل إلى موسى بلى عبدنا خضر فسأل السبيل إلى لقيه..**))[(٢)].

وقد اشتملت رحلة موسى عليه الصلاة والسلام في طلب العلم على مجموعة من المنهجيات والآداب التي تنير الطريق للمرتحل في طلب العلم أجملها في النقاط التالية:

١ – "مما اشتملت عليه القصة فضيلة العلم وشرفه، ومشروعية

---

(١) الأثر: جامع البيان للطبري٢/ ٨٦ – ٨٧(٩٥٧)، وتاريخ الطبري١/ ٢٢٠ – ٢٢١.

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم باب الخروج في طلب العلم (٧٨).

الرحلة في طلبه، وأنه أهم الأمور؛ فإن موسى رحل في طلبه مسافة طويلة، ولقي في ذلك النصب، وترك الإقامة عند بني إسرائيل لتعليمهم وإرشادهم، واختار السفر لزيادة العلم على ذلك، والبداءة في العلم بالأهم فالأهم، فإن زيادة علم الإنسان بنفسه أهم من ترك ذلك اشتغالا بالتعليم فقط، بل يتعلم ليُعَلم"[(١)].

٢ - "دعاء موسى الله تعالى التيسير في الوصول للعلم وأخذه والرحلة من أجله.

٣ - وموسى عليه السلام لم يتكبر أن يتعلم من الخضر الذي هو أقل منه منزلة.

٤ - وكذلك أخذ الخادم في الحضر والسفر لكفاية المؤن، وطلب الراحة لكي يتفرغ للطلب، وليستفيد من قُوته ووقته في الطلب"[(٢)].

٥ - ولقد وضع موسى عليه السلام لنفسه هدفاً من رحلته لطلب العلم: "وهو يعبر عن هذا التصميم بما ذكره القرآن من قوله: ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ والحقب قيل عام، وقيل ثمانون عاماً. على أية حال فهو تعبير عن التصميم، لا عن المدة على وجه التحديد".

٦ - وكذلك نرى في موسى عليه السلام العزم على الصبر والطاعة في سبيل تلقي العلم والاستعانة بالله: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩].

---

(١) تيسير اللطيف المنان لابن سعدي ص٤٤٤.

(٢) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٤٨٢ باختصار.

٧ - وكذلك نرى في موسى عليه السلام حسن الأدب في الطلب حيث اعتذر عند الخطأ وطلب المسامحة: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧٣]، فهول الأمر وتفاجئ موسى عليه السلام أنساه الشرط وأعسر عليه الصبر والسكوت عما رآه في الظاهر خطأً[١].

٨ - قال الخطيب البغدادي: "إنَّ فيما عاناه موسى من الدَّأب والسفر والصبر على العلم، مع محل موسى من الله وموضعه من كرامته وشرف نبوَّته دلالة على ارتفاع قدر العلم، وعلو منزلة أهله، وحسن التواضع لمن يُلتمس منه"[٢].

٩ - في قوله تعالى﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] "فقدم الرحمة على العلم؛ ليدل على أن من أخص صفات المعلم: الرحمة، وأن هذا أدعى لقبول تعليمه، والانتفاع به"[٣].

١٠ - في قوله﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ

---

(١) سيأتي الحديث عن رعاية الله تعالى للأنبياء في القرآن وسيكون هناك تفصيل لهذا القصة في نماذج للرعاية في القرآن.

(٢) الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ص ١٠٦.

(٣) ليدبروا آياته - وقفة تربوية للدكتور عبدالرحمن الشهري في سورة الكهف آية: (٦٥).

﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦]، "فيه التلطف مع المعلم بالإشارة إلى أنه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان، بل جوامع منه يسترشد بها إلى باقية"(١).

١١ - وكذلك بالاستئذان على متابعته، وأنه لا يتبعه إلا بإذنه، ويبين أنه لم يأتِ ليمتحن ولا ليتعنَّت، إنما جاء متعلِّمًا مستزيدًا"(٢).

١٢ - وكذلك فيه "التأدب مع المعلم، وخطابه بألطف خطاب، وإقراره بأنه يتعلم منه، بخلاف ما عليه أهل الجفاء أو الكبر، الذي لا يظهر للمعلم افتقاره إلى علمه، بل يدعي أنه يتعاون هو وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، وهو جاهل جدًا، فالذل للمعلم، وإظهار الحاجة إلى تعليمه، من أنفع شيء للمتعلم"(٣).

١٣ - وفي قوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]، "يؤخذ منه: أن العالم إن رأى في التغليظ على المتعلم ما يفيده نفعاً وإرشاداً إلى الخير كان عليه ذكره، فإن السكوت عنه يوقع المتعلم في الغرور والنخوة، وذلك يمنعه من التعلم"(٤).

"وهذا أصل من أصول التعليم أن ينبِه المعلمُ المتعلمَ بعوارض موضوعات العلوم الملقنة، لا سيما إذا كانت في معالجتها مشقة"(٥).

---

(١) نظم الدرر للبقاعي ٤/ ٤٩١.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/ ١٥٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٤٨٢.

(٤) نظم الدرر للبقاعي ٤/ ٤٩١.

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٥/ ٣٧٢.

١٤ - وفي قوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨] تنبيه على أنه "لا ينبغي لطالب العلم أن يطلب علمًا دقيقًا لم يتهيأ له بأدواته، فلن يصبر عليه، إنما العلم مراحل"[(١)].

فمن أخطاء بعض طلاب العلم: اقتصارهم على ما في بطون الكتب، وإهمال خبرات من سبقهم علمًا وتجربة، ومن تدبر القرآن رأى عنايته بهذا الأمر، تدبر: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٩] وتحقق ما توقعه الخضر؛ ولذا استفاد موسى من ذلك، فقال للنبي في حديث فرض الصلاة: ((**إن أمتك لا تطيق ذلك؛ فقد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم**))[(٢)]"[(٣)].

١٥ - وفي قوله: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩] يعزم موسى على الصبر والطاعة، ويستعين الله، ويقدم مشيئته إرشاداً لما ينبغي في طلب العلم في الاستعانة بالله تعالى ولا يتكل على نفسه.

---

(١) ليدبروا آياته - وقفة تربوية للدكتور محمد الربيعة في سورة الكهف آية: (٦٨).

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات (١٦٢).

(٣) ليدبروا آياته - وقفة تربوية للدكتور ناصر العمر في سورة الكهف آية: (٦٨).

المطلب الثالث
النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج

كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ يعلمه القرآن، ولكن لأهمية الارتحال وأثره في التعلم كانت رحلة الإسراء والمعراج ليتعلم رسول الله ﷺ ويعلم أمته ويغرس فيها قضايا مهمة لتقوم بواجب الخيرية، قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[الإسراء١].

وقال تعالى عن رحلة المعراج: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾[النجم١٣ - ١٨].

"فأسري به في ليلة واحدة إلى مسافة بعيدة جداً ورجع في ليلته، **وأراه الله من آياته ما ازداد به هدى وبصيرة وثباتاً وفرقانا**، وهذا من اعتنائه تعالى به ولطفه، حيث يسره لليسرى في جميع أموره، وخوله نِعماً فاق بها الأولين والآخرين، وقد تكاثرت الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ في الإسراء، وذكر تفاصيل ما رأى، وأنه أسري به إلى بيت المقدس، ثم عرج به من هناك إلى السماوات حتى وصل إلى ما فوق السماوات العلى، ورأى الجنة والنار، والأنبياء على مراتبهم، وفرض عليه الصلوات خمسين، ثم ما زال يراجع ربه بإشارة موسى الكليم حتى صارت خمساً بالفعل، وخمسين بالأجر والثواب، وحاز من المفاخر تلك الليلة هو وأمته ما لا يعلم مقداره إلا الله عز وجل"[(١)].

فهي رحلة ذكر الله تعالى الهدف منها، ثم النتيجة منها، فالهدف

(١) تيسير الكريم الرحمن لابن سعدي (٤٥٣).

هو: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، وقد تحقق للنبي ﷺ هذا الهدف الرباني، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾.

"إن الله عز وجل أراد أن يتيح لرسوله فرصة الاطلاع على المظاهر الكبرى لقدرته، حتى يملأ قلبه ثقة فيه واستنادًا إليه، حتى يزداد قوة في مهاجمة سلطان الكفر القائم في الأرض، كما حدث لموسى عليه السلام، فقد شاء الله أن يريه عجائب قدرته، فلما ملأ قلبه بمشاهد هذه الآيات الكبرى قال له بعد ذلك: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ [طه: ٢٣]

في رحلة الإسراء والمعراج أطلع الله نبيه على هذه الآيات الكبرى، توطئة للهجرة ولأعظم مواجهة على مدى التاريخ للكفر والضلال والفسوق، والآيات التي رآها رسول الله ﷺ كثيرة: الذهاب إلى بيت المقدس، العروج إلى السماء، رؤية الغيب الذي دعا إليه الأنبياء والمرسلين، الملائكة، السماوات، الجنة والنار، نماذج من النعيم والعذاب"[(١)].

وقد ثبت في السنة النبوية أن الصلاة فرضت على الأمة الإسلامية في ليلة عروجه ﷺ إلى السماوات وفي هذا كما قال ابن كثير: "اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها"[(٢)].

وعلم الله نبيه ﷺ في هذه الرحلة من خلال جبريل مخاطر الأمراض الاجتماعية وبين عقوبتها مثل جريمة الغيبة والربا، والزنا وأكل أموال اليتامى وهذا دليل على خطورة هذه الأمور.

---

(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث للصلابي ١/ ٢٢٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٣.

المبحث الثاني

نماذج من رحلة الصحابة في طلب العلم

١ - رحلة جابر بن عبدالله رضي الله عنه إلى الشام:

فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: بلغني عن رجل من أصحاب الرسول ﷺ حديثٌ سمعه من رسول الله ﷺ لم أسمعه منه، قال: فابتعت بعيراً فشددت عليه رحلي، فسرت إليه شهراً حتى أتيت الشام، فإذا هو عبدالله بن أنيس الأنصاري، قال: فأرسلت إليه: أن جابراً على الباب، قال: فرجع إلي الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟ فقلت: نعم، قال: فرجع الرسول إليه فخرج إلي فاعتنقني واعتنقته، قال: قلت: حديث بلغني أنك سمعته من رسول الله ﷺ في المظالم لم أسمعه فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمعه..[١].

قال ابن حجر: "وفي حديث جابر دليل على طلب علو الإسناد.. وخضوع الكبير لمن يتعلم منه، وفيه فضل الازدياد من العلم ولو مع المشقة بالسفر، وفيه أن على طالب العلم أن يكون عنده ما يكفيه في سفره من راحلة، وأموره المعيشية، وكذلك الأدب بين العالم والمتعلم، وتقدير العالم للمتعلم الذي جاء لطلب العلم، لقول جابر: فخرج إلي فاعتنقني واعتنقته"[٢]، وكانت تلك الرحلة في شهر كامل.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب الخروج في طلب العلم باب(٧٨).

(٢) فتح الباري لابن حجر ١/ ٢١٠ مختصرا.

٢ - رحلة أبي أيوب الأنصاري ﷺ:

فعن عطاء بن أبي رباح قال: خرج أبو أيوب ﷺ إلى عقبة بن عامر ﷺ، وهو بمصر يسأله عن حديثٍ سمعه من رسول الله ﷺ، فلما قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري ﷺ، وهو أمير مصر فأخبر به فعجل، فخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ قال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبقَ أحد سمعه غيري وغير عقبة فابعث من يدلني على منزله، قال: فبعث معه من يدله على منزل عقبة، فأخبر عقبة به فعجَّل، فخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ﷺ لم يبق أحد سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن. قال: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**من ستر مؤمناً في الدنيا على خربة**[١] **ستره الله يوم القيامة**)) فقال له أبو أيوب: صدقت. ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته فركبها راجعا إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر[٢].

٣ - رحلة أبي ذر ﷺ:

لما بلغ أبا ذر ﷺ مبعث النبي ﷺ بمكة قال لأخيه ﷺ: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علم هذا الرجل فاسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق وسمع من قوله ثم رجع إلى أبي ذر فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر، فقال: ما شفيتني فيما أردت. فتزود وحمل شنة له فيها ماء حتى قدم مكة، فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه فدخل على النبي ﷺ فسمع من قوله وأسلم مكانه فقال له النبي ﷺ: (**ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري**)...[٣].

---

(١) خربة: عيب..

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرج الرواية بكاملها البخاري في كتاب المناقب، باب قصة إسلام أبي ذر ﷺ (٣٥٢٢)، وفي كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي ذر (٢٤٧٤).

٤ - رحلة أبي هريرة ﷺ:

وقد أسلم أبو هريرة ﷺ بدوس ثم ارتحل إلى المدينة لملازمة الرسول ﷺ، وتعلم العلم، فكان من أكثر الصحابة رواية للأحاديث، مع أنه أسلم عام خيبر[١].

٥ - رحلة قوم من أهل اليمن:

عن عمران بن حصين ﷺ قال: "إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: ((**اقبلوا البشرى يا بني تميم**))، قالوا: بشرتنا فأعطنا!! فدخل ناس من أهل اليمن فقال: ((**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**)). قالوا: قبلنا. جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: ((**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء**)). ثم أتاني رجل فقال يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها والله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم"[٢].

إلى غير ذلك من النماذج، وما هذه النماذج إلا ومضة سريعة للاستشهاد فقط وليس للحصر.

---

(١) انظر قصة إسلام أبي هريرة في الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر ١/ ٥٧٠.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: { وكان عرشه على الماء} (٧٤١٨).

المبحث الثالث
نماذج من رحلات التابعين وعلماء السلف

- عن زر بن حبيش قال: "خرجت في وفد من أهل الكوفة - وايم الله - إن حرضني على الوفادة إلا لقي أصحاب رسول الله ﷺ، فلما قدمت المدينة، أتيت أبي بن كعب رضي الله عنه، وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، فكانا جليسيّ وصاحبيّ، فقال أُبي: يا زر، ما تريد أن تدع من القرآن آية إلا سألتني عنها؟!!"[١].
- قال سعيد بن المسيب: "إن كنت لأسير في طلب الحديث الواحد الليالي والأيام"[٢].
- ورحل شعبة شهراً كاملاً في طلب حديث سمعه من طريق لم يمر عليه[٣].
- وعن إسحاق قال: "طفت الأرض كلها في طلب العلم"[٤]. كناية عن كثرة الأسفار، أو الأرض المعروف حدودها في عصره.
- وقال مكحول: "عتقت بمصر، فلم أدع بها علماً إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت العراق، فلم أدع بها علما إلا احتويت عليه فيما أرى، ثم أتيت المدينة، فلم أدع بها علماً إلا احتويت عليه، ثم أتيت الشام فغربلتها، كل ذلك أسأل عن النفل.."[٥].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٤/ ١٦٧ - ١٧٨.

(٢) جامع بيان العلم وفضله للخطيب البغدادي ١/ ٣٩٥.

(٣) انظر: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي (١٤٨ - ١٥٣).

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ١٥٨.

(٥) المصدر السابق ٥/ ١٥٨.

- وقال الإمام أحمد بن حنبل: "لم يكن في زمان ابن المبارك أطلب للعلم منه، رحل إلى اليمن، وإلى مصر، وإلى الشام، والبصرة والكوفة، وكان من رواة العلم، وأهل ذلك. كتب عن الصغار والكبار كتب عن عبدالرحمن بن المهدي، وعن الفزاري، وجمع أمراً عظيماً"(١).
- وعن ابن المقرئ قال: "طفت بالشرق والغرب أربع مرات، ومشيت بسبب نسخة مفضَّل بن فَضَالة سبعين مرحلة، ولو عرضت على خباز برغيف لم يقبلها"(٢).
- عن أبي العالية قال: "كنا نسمع بالرواية عن أصحاب، رسول الله ﷺ بالمدينة بالبصرة، فما نرضى حتى أتيناهم فسمعنا منهم"(٣).
- وقال عامر الشعبي لسائل عندما سأل عن مسألة وأجاب عليها: "أعطيناكها بغير شيء وقد كان الرجل ليرحل فيما دونها إلى المدينة"(٤).
- وعن الشعبي قال: "لو أن رجلاً سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن فحفظ كلمة تنفعه فيما يستقبله من عمره رأيت أن سفره لا يضيع"(٥).

(١) انظر: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ١/ ١٨/ ١٦.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٦/ ٤٠٠.

(٣) انظر: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ١/ ٢٢/ ٢٠.

(٤) فتح الباري لابن حجر ١/ ٢٢٩، وقد ذكرها البخاري في كتاب العلم باب تعليم الرجل أمته وأهله (٩٧).

(٥) انظر: الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي ١/ ٢٨/ ٢٦.

- وقد ورد أن أبا سعد الأنصاري الماليني أحد الرحَّالين في طلب الحديث والمكثرين منه، كتب ببلاد خراسان وما وراء النهر وببلاد فارس وجرجان والري وأصبهان والبصرة وبغداد والكوفة والشامات ومصر ولقي عامة الشيوخ والحفاظ الذين عاصرهم[١].
- قال ابن أبي حاتم: سمعت أبي يقول: أول سنة خرجت في طلب الحديث أقمت سبع سنين، أحصيت ما مشيت على قَدَمي زيادة على ألف فرسخ، قلت: مسافة ذلك نحو أربعة أشهر، سير الجادة، قال: ثم تركت العدد بعد ذلك، وخرجت من البحرين إلى مصر ماشياً، ثم إلى الرملة ماشياً، ثم إلى دمشق، ثم أنطاكية وطرسوس، ثم رجعت إلى حمص، ثم إلى الرقة، ثم ركبت إلى العراق، كل هذا في سفري الأول وأنا ابن عشرين سنة[٢].
- وذكر الذهبي: "أن إسحاق بن منصور بلغه أن أحمد بن حنبل رجع عن بعض تلك المسائل التي علقها عنه، فحملها في جراب على ظهره، وخرج راجلاً، إلى بغداد، وعرض خطوط أحمد عليه في كل مسألة استفتاه عنها، فأقر له بها ثانياً، وأعجب به"[٣].
- قال الإمام البخاري: "دخلت الشام ومصر والجزيرة مرتين،

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٥/ ١٩٤.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣/ ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٣) المصدر السابق ١٢/ ٢٥٩ - ٢٦٠.

وإلى البصرة أربع مرات، وأقمت بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين"[١].

- قال ابن حجر: "ارتحل البخاري بعد أن رجع من مكة إلى سائر مشايخ الحديث في البلدان التي أمكنته الرحلة إليها: بلخ، ونيسابور، والري، وبغداد والبصرة، والكوفة، والمدينة، وواسط، ودمشق، وعسقلان، وحمص وغيرها... وأقام في كل ذلك مع مشايخها"[٢].
- قال الإمام النووي: "واعلم أن مسلماً أحد أعلام أئمة هذا الشأن والرحالين في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان، سمع بخرسان وبالريّ، وبالعراق وبالحجاز، وبمصر"[٣].
- "رحل الإمام أحمد إلى الكوفة ماشياً، وكانت أولى رحلاته وكان عمره عشرون سنة، ثم إلى البصرة، وكان دائم الرحلة بين الكوفة والبصرة، ورحل إلى عبّادان[٤] ثم إلى الحجاز، وإلى واسط، وتردد على مكة عدة مرات، ثم خرج إلى اليمن ماشياً مع رفيق رحلته يحيى بن معين، ورحل كذلك إلى الشام"[٥].
- قال الإمام أحمد: "رحلت في طلب الحديث والسنة، إلى

(١) الإمام البخاري شيخ الحفاظ والمحدثين لتقي الدين الندوي (٤٠).

(٢) المصدر السابق (٤٠ - ٤١).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي،(١/ ١٠) مختصرا.

(٤) عبّادان: مدينة تحت البصرة، بينهما اثنا عشر فرسخاً، وهي غرب إيران على الخليج.

(٥) الموسوعة الحديثية، مسند الإمام أحمد (١/ ٤٣ - ٤٦)، مختصراً.

الثغور والشامات، والسواحل والمغرب والجزائر وفارس وخرسان والأطراف ثم عدت إلى بغداد"[١].

- "وأخذ الإمام الشافعي العلم ببلده، وارتحل من مكة - وهو ابن نيف وعشرين سنة - إلى المدينة وأخذ عن أهلها، ثم إلى اليمن، وبغداد، ومصر.."[٢].
- "واتسعت الرحلة في طلب العلم عند الإمام المقدسي، فبعد أن أفاد من علماء بلده تاقت نفسه إلى المزيد، فرحل إلى بغداد وسمع من علمائها، ورحل إلى الثغر وأقام عليه ثلاثة أعوام، وكتب عن علمائها الكثير، ورحل إلى الموصل، ثم رحل إلى همذان، ورحل إلى أصبهان، ورحل إلى مصر، هكذا قطع الفيافي، وجاب الأمصار، بحثاً عن العلم، وجهاداً في سبيله."[٣].
- عن الشعبي، قال: خرج مسروق إلى البصرة إلى رجل يسأله عن آية، فلم يجد عنده فيها علما فأخبره عن رجل من أهل الشام فقدم علينا هاهنا ثم خرج إلى الشام إلى ذلك الرجل في طلبها[٤].

---

(١) طالب العلم والرحلة، محمد النجد - شريط.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/ ٦ - ٧) مختصرا.

(٣) مجلة الجامعة الإسلامية عدد٧٥ - ٧٦. بحث بعنوان كتاب تصحيح العمدة للإمام الزركشي دراسة وتحقيق الدكتور مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ٢/ ٩٥.

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

فهذه لمحة عن أهم ملامح هذا المنهج الإسلامي الفريد في الرحلة لطلب العلم، والذي خرَّج أفضل جيل ظهر على وجه الأرض، والأدوار التي يجب أن يقوم بها كل طالب علم في رحلته لطلب العلم وما يحتاجه لمواصلة المسيرة، ويمكن بيان ملخص لهذا البحث في محورين:

أولا: نتائج البحث:

تبين من خلال البحث:

- فضل الرحلة في طلب العلم، وأن الرحلة في طب العلم من سنن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والأجر الكبير للمرتحل لطلب العلم، وثناء القرآن على أهل العلم، وأن طلب العلم مقدم على العبادات القاصرة على فاعلها وأن الرحلة في طلب العلم من أسباب مغفرة الذنوب ورفع البلاء عن الأمة وهي سبب لدخول الجنة، وقد حضّ العلماء على استدامة طلب العلم ولو مع التّقدّم في السّنّ أو العلم، وأن للرحلة فوائد كثيرة على طالب العلم وأمته.
- أهمية الرحلة لطلب العلم، حيث إنها سبب لتحصيل العلم ونشره، وأن تفرق العلماء في البلدان ولّد أهمية للترحال لأخذ العلم عنهم، فهي ضرورية لقلة أو انعدام وجود علماء في بعض البلدان، وهي مهمة كذلك لطلب علم من العلوم الخاصة ولعلو السند ودراسة المسائل النازلة، مع ما

تتيحه لطالب العلم من التفرغ لطلب العلم وملازمة كبار العلماء والتعرف عليهم وحفظ ما عندهم من علم، والرحلة كذلك لها أهميتها في إزالة العصبية العلمية والمنهجية.

- حكم طلب العلم يختلف باختلاف حال الشخص والعلم الذي يريد أن يتعلمه: فإن كان علم فرض ترتب عليه صلاح عبادة المسلم ومعاملاته وجب عليه تعلمه، ويأثم لو لم يتعلمه، وطلب العلم فرض كفاية إذا كانت للزيادة في العلم ولدعوة الناس.
- الرحلة في طلب العلم فرض كفاية على الأمة، فإذا احتاجت الأمة لعلم من العلوم ولن يتحصل إلا بالرحلة وجب على الأمة أن يرحل منها من يلبي العلم الذي تحتاجه في أمور دينها أو دنياها.
- الأصل في الرحلة لطلاب العلم للبلاد الإسلامية الإباحة طالما لا يوجد محظور شرعي
- تحريم السفر لبلد غير إسلامي لغير ضرورة أو حاجة وجواز الارتحال لبلد غير إسلامي للدراسة وفق حاجة الأمة المسلمة لتحصيل العلوم النافعة التي يتعذر تحصيلها في بلاد الإسلام مع إعداد الطلاب المرتحلين لتلك البلاد وتأهيلهم، مع ضرورة انطباق الشروط التي اشترطها العلماء، فإذا زالت الشروط وجب الرجوع للأصل وهو التحريم لضررها على الدين والخلق والثقافة.
- أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية بالمنع من ابتعاث البنات للخارج منعاً باتاً وبينت المخرج عند الحاجة

- الرحلة في طلب العلم فيها صعوبات كثيرة لا بد لطالب العلم من التعرف عليها وتحتاج إلى مجاهدة وبذل، وأن يجاهد طالب العلم ويصبر ويوجد الحلول المناسبة ولا يتوقف مهما كان الأمر.
- الرحلة في طلب العلم طاعة وعمل عظيم في قدره وفي دوره وفي نتائجه وفي موضوعه، وهذا العمل له أركانه التي يقوم عليها، وإذا اختل ركن من هذه الأركان أو انعدم فلن تتحقق أهدافها، وهي: المرتحل، والمرتحل إليه، ومكان الرحلة، ومنهج الرحلة.
- على طالب العلم أن يبدأ رحلته في طلب العلم وقد وضع أمامه أهدافاً يرجوها من هذه الرحلة، ليتم تحقيق الأمر له من ربه إجمالها في أربعة أهداف، وهي:

الهدف الأول: أن يكون صالحاً في دينه وأخلاقه: ويشمل: سلامة العقيدة، وصحة العبادة، ومتانة الخلق، ومجاهدة النفس.

الهدف الثاني: أن يكون قدوة علمية وعملية في تخصصه.

الهدف الثالث: أن يكون نافعاً للمسلمين خصوصاً وللناس عموماً. ويشمل: أن يكون: مُصْلِحاً لغيره، وقدوةً وقائداً، وإيجابياً، ومؤثراً، وباذلاً للمعروف.

الهدف الرابع: أن يحسن إدارة ذاته: ويشمل: أن يكون قوياً محافظاً على صحته، ومحافظاً على وقته، ومنظماً في أموره كلها، وقادراً على كسب معاشه.

- لا بد أن ينبه طالب العلم على تجديد ومراقبة الإخلاص لله

في الطلب والسفر، مع الأهمية الشرعية لاستئذان الأبوين، والاجتهاد في التحصيل العلمي، والاهتمام بالقرآن وبالعبادات، والصبر على العلم والتعلم، وعدم الانشغال بغير العلم مع أهمية أخذ نفسه بالقناعة في الدنيا والعفة عما في أيدي الناس وبذل المال والجهد في سبيل الطلب، والعمل بالعلم، والتعاون بين طلاب العلم

- أما في علاقة طالب العلم بالعلماء فلا بد لطالب العلم من توقير العلماء وحسن الخلق معهم، ومحبتهم، والدعاء لهم، وترك جدالهم، والصبر على ما يصدر منهم، والحذر من الخوض في أعراض العلماء وتتبع زلاتهم وإسقاطهم من أعين الناس، وكذلك الحذر من التعصب والتقليد للشيوخ، مع حسن المناصحة لهم.
- هناك مفسدات كثيرة للرحلة في طلب العلم، لا بد لطالب العلم أن يتعرف عليها، حتى يتجنبها. ومن أهمها، فساد النية، وترك العمل بالعلم، ومدح طالب العلم نفسه، والتسويف واليأس، والاستعجال في طلب العلم وفي التصدر والفتيا، والتباغض والتحاسد بينه وبين زملائه، وكذلك الطمع في الدنيا وبما في أيدي الناس، والمعاصي وضياع الأوقات ونسيان العلم.
- لا بد لطالب العلم أن يتعرف على سير السابقين ووصاياهم ورحلاتهم في طلب العلم، كرحلة إبراهيم وموسى ومحمد صلى الله عليهم جميعا، ثم التعرف على رحلات الصحابة

لطلب العلم كرحلة أبي أيوب الأنصاري، وجابر، وأبي ذر، وأبي هريرة ﷺ، وكذلك التعرف على رحلات التابعين ومن تبعهم بإحسان وفيها نماذج مشرقة ودروس تربوية رائعة.

ثانيا: توصيات البحث:

١ - ضرورة النظر في سيرة سلف الأمة لاقتباس شيء من نورهم والتعلم منهم وذلك في جميع خطط إقامة أمور حياتنا، ولا يقتصر فقط على الفخر بتاريخهم.

٢ - ضرورة التزام طالب العلم المرتحل بصفات وآداب تجعله أهلاً لطلب العلم.

٣ - يجب على طالب العلم أن يحدد لنفسه أهدافاً من رحلته.

٤ - الرحلة في طلب العلم تحتاج إلى منهجية علمية واستشارات تربوية.

٥ - ضرورة تفريغ طائفة من طلبة العلم للرحلة في طلب العلم، والعناية بهم من جميع الجوانب.

٦ - ضرورة وجود مؤسسات ترعى طلاب العلم القادمين إليها، ومؤسسات لرعاية مبتعثيها كذلك.

٧ - التنبيه على المقابلات الشخصية عند قبول طلاب العلم في الجامعات والمعاهد والأكاديميات، وما كان بمعناها وتفعيلها في العناية بطلبة العلم المتميزين تطويراً وعناية ورفعة ورعاية.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وممن

يهتدون بهدي سيد البشر، وممن يكونون معينين على إيصال سنته إلى كل أحد، وممن يقومون على رعاية من يطلب هذه السنة ويوصلونها للناس، وأن نكون ممن يقوم على وضع لبنة من لبنات بناء صرح هذه الأمة العظيم.

كما أسأله سبحانه أن يجزي خيراً كل من ساهم في إخراج هذا البحث بتوجيه أو فكرة أو تصويب خطأ أو بيان، وأن لا يحرمنا وإياهم الأجر، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به المسلمين، وأن يكون حجة لنا لا علينا، اللهم آمين.

وختاماً فإن الكمال عزيز وبلوغه صعب المنال وهذ عمل البشر لا يخلو من أخطاء وزلل فما كان في هذا العمل من خير وصواب فمن توفيق الله وحده، وما كان فيه من خطأ وزلل فمني ومن الشيطان، فمن وجد خللاً فليقومه، ومن وجد نقصاً فليكمله فالله تعالى لا يضيع أجر المصلحين وأسأل الله تعالى أن يغفره لي، وأن يتجاوز عني.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أخوكم

أ. د. محمد بن عبدالعزيز العواجي

عضو هيئة التدريس بقسم التفسير وعلوم القرآن

الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية

قائمة المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الابتعاث ومخاطره، محمد الصباغ، المكتب الإسلامي، بيروت، ط: ٢، ١٤٠٣هـ.
٣. أحكام الابتعاث للخارج في الفقه الإسلامي – د. حصة بنت عبد الرحمن الرقيق – رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٣٢ – ١٤٣٣هـ.
٤. الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
٥. إحياء علوم الدين – أبو حامد الغزالي – دار المعرفة – بيروت.
٦. أخلاق العلماء – للآجري. قام بمراجعة أصوله وتصحيحه والتعليق عليه: فضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري، الناشر: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية.
٧. أدب الطلب ومنتهى الإرب – محمد بن على الشوكاني – تحقيق: محمد عثمان – مكتبة القرآن – القاهرة.
٨. الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٠م.
٩. الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
١٠. الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، الناشر: دار الكتب العلمية، ط: ١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
١١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي – دار عالم الفوائد – مكة المكرمة – ط١(١٤٢٦هـ).
١٢. الاعتصام – إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير

بالشاطبي – تحقيق: سليم بن عيد الهلالي – الناشر: دار ابن عفان، السعودية – الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
١٣. إعلام الموقعين عن رب العالمين – محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية – دار الجيل – بيروت.
١٤. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ – للسخاوي – نسخة رقمية في المكتبة الشاملة.
١٥. اقتضاء العلم العمل – الخطيب البغدادي – تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت ط٥ (١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م).
١٦. الإمام البخاري إمام الحفاظ والمحدثين، المؤلف: تقي الدين الندوي المظاهري، دار القلم – دمشق، سنة النشر: ١٤١٥هـ.
١٧. الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
١٨. البداية والنهاية – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء – مكتبة المعارف – بيروت.
١٩. بدائع التفسير لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية – المحقق: يسري السيد – صالح الشامي – دار ابن الجوزي – الدمام.
٢٠. بلاد شنقيط المنارة والرباط – الخليل النحوي – تونس – المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم(١٩٨٧هـ).
٢١. تاريخ الإسلام في وفيات المشاهير والأعلام – الذهبي – تحقيق: عمر تدمر – دار الكتاب العربي – بيروت – ط٢(١٤١٠هـ).
٢٢. تاريخ الخلفاء – عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – مطبعة السعادة – مصر – الطبعة الأولى (١٣٧١هـ) – تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
٢٣. تاريخ الطبري. تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة: الثانية – ١٣٨٧هـ.
٢٤. تاريخ بغداد – أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي – دار الكتب

العلمية – بيروت.
٢٥. تاريخ دمشق – على بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر – دار الفكر بيروت – ط(١٤١٥هـ).
٢٦. تذكرة الحفاظ – محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله – دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان.
٢٧. تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم – ابن جماعة الكناني – مع تعليقات المحقق السيد محمد هاشم الندوي – دار المعالي ط ٣(١٤١٩هـ).
٢٨. ترتيب المدارك وتقريب المسالك – أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الناشر: مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى.
٢٩. تفسير السراج المنير محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين – دار الكتب العلمية بيروت.
٣٠. تفسير القرآن العظيم – إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي – تحقيق: سامي السلامة – دار طيبة – الرياض – ط١(١٤١٨هـ).
٣١. تفسير جزء الذاريات – لابن عثيمين.
٣٢. تلبيس إبليس – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي – دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان – الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
٣٣. تهذيب التهذيب – أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني – مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند – الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.
٣٤. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم – أحمد بن إبراهيم بن عيسى – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٣ (١٤٠٦هـ) – تحقيق: زهير الشاويش.
٣٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر – ط١(١٤٢٠هـ).
٣٦. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن – عبد الرحمن بن ناصر السعدي – ط٢(١٤٠٩هـ).

٣٧. جامع البيان عن تفسير آي القرآن – محمد بن جرير الطبري – تحقيق د/ عبدالله بن عبد المحسن التركي – مركز البحوث والدراسات الإسلامية – القاهرة – ط١(١٤٢٢هـ – ٢٠٠١مـ).
٣٨. جامع الترمذي – محمد بن عيسى الترمذي – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ – ١٩٨٩مـ) – اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
٣٩. جامع العلوم والحكم – عبد الرحمن بن رجب الحنبلي – دار المعرفة – بيروت.
٤٠. جامع بيان العلم وفضله – أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي – تحقيق: أبي الأشبال الزهيري – دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية – ط١ ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.
٤١. الجامع في الحث على حفظ العلم – الخطيب البغدادي – أبو هلال العسكري – تحقيق / محمود بن محمد الحداد – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – ط١(١٤١٢هـ).
٤٢. الجامع لأحكام القرآن – محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي – دار الكتاب العربي.
٤٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع – أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر – مكتبة المعارف– الرياض١٤٠٣ تحقيق: د. محمود الطحان.
٤٤. الجرح والتعديل، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١: ١٢٧١ – ١٩٥٢م.
٤٥. حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد المسمى تحفة المريد على جوهرة التوحيد – برهان الدين إبراهيم الباجوري. المحقق: علي جمعة – دار السلام – القاهرة – سنة النشر: ٢٠٠٢. رقم الطبعة: الأولى.
٤٦. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – أبو نعيم الأصبهاني – دار الكتب العلمية بيروت.
٤٧. ديوان الشافعي – محمد بن إدريس الشافعي. دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثالثة: ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٤٨. الرحلة في طلب الحديث – أحمد بن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر – تحقيق: نور الدين عتر.
٤٩. الرد الوافر – محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي – المكتب الإسلامي – بيروت – (ط١ ١٣٩٣) – تحقيق: زهير الشاويش.
٥٠. رسالة عن مخاطر الابتعاث، كتاب ذكريات على الطنطاوي الجزء الرابع، دار المنارة – جدة، سنة النشر: ١٤٠٥ – ١٩٨٢م.
٥١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي – دار الفكر – بيروت – ط١٤٠٣.
٥٢. زاد المسير في علم التفسير – عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي – المكتب الإسلامي – بيروت – ط٢ (١٤٠٤هـ).
٥٣. السباق إلى العقول – الدكتور عبد الله قادري الأهدل – لكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات – والترقيم للمكتبة الشاملة.
٥٤. سلسلة الأحاديث الصحيحة – محمد ناصر الدين الألباني– المكتب الإسلامي – بيروت – ط٤(١٤٠٥هـ – ١٩٨٥مـ).
٥٥. السلسلة الضعيفة – محمد ناصر الدين الألباني – مكتبة المعارف – الرياض.
٥٦. سنن ابن ماجة – محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ – ١٩٨٩مـ) – اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
٥٧. سنن أبي داود – سليمان بن الأشعث السجستاني – بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع – الرياض – (١٤١٩هـ – ١٩٨٩مـ) – اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
٥٨. سير أعلام النبلاء – محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي – مؤسسة الرسالة – بيروت – ط٦(١٤٠٩هـ).
٥٩. سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني – تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد – دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
٦٠. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث – عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي

- دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان - الطبعة: السابعة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٦١. السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة - محمد أبو شهبة - دار القلم - دمشق - ط٣(١٤١٧).
٦٢. شباب الصحابة مواقف وعبر - محمد بن عبد الله الدويش -دار الوطن - ط٢(١٤١٩هـ).
٦٣. الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح - إبراهيم بن موسى بن أيوب، برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي، ثم القاهري، الشافعي - المحقق: صلاح فتحي هلل - مكتبة الرشد - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م.
٦٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب - ابن العماد الدمشقي - دار الكتب العلمية.
٦٥. شرح القواعد الفقهية، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، الناشر: دار القلم، دمشق، ط: ٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
٦٦. الشرح الكبير على متن المقنع، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الحنبلي، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا.
٦٧. شرح زاد المستقنع - محمد المختار الشنقيطي - مذكرة.
٦٨. الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٦٩. شعب الإيمان - أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١(١٤١٠هـ) - تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
٧٠. الشفا بتعريف حقوق المصطفى - عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي - الناشر: دار الفيحاء - عمان - الطبعة: الثانية - ١٤٠٧ هـ.
٧١. صحيح ابن حبان - محمد ابن حبان التميمي البستي - تحقيق شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط٢(١٤١٤هـ - ١٩٩٣مـ).

٧٢. صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل البخاري - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ - ١٩٨٩مـ) - اعتناء أبو صهيب الكرمي.
٧٣. صحيح الترغيب والترهيب - محمد ناصر الدين الألباني - مكتبة المعارف، الرياض، ط٥.
٧٤. صحيح الجامع الصغير وزياداته - محمد ناصر الدين الألباني - تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط١(١٤٠٨هـ - ١٩٨٨مـ).
٧٥. صحيح جامع الترمذي - محمد ناصر الدين الألباني - تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط١(١٤٠٨هـ - ١٩٨٨مـ)
٧٦. صحيح سنن ابن ماجة - محمد ناصر الدين الألباني - تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط١(١٤٠٨هـ - ١٩٨٨مـ).
٧٧. صحيح سنن أبي داود - محمد ناصر الدين الألباني - تعليق وفهرسة زهير الشاويش - المكتب الإسلامي - بيروت - ط١(١٤٠٨هـ - ١٩٨٨مـ).
٧٨. صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابوري - بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع - الرياض - (١٤١٩هـ - ١٩٨٩مـ) - اعتناء أبو صهيب الكرمي.
٧٩. صفة الصفوة - عبد الرحمن بن علي أبو الفرج - دار المعرفة - بيروت - ط٢(١٣٩٩ هـ- ١٩٧٩م).
٨٠. صفوة التفاسير - المؤلف: محمد علي الصابوني - الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة - الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٨١. صيد الخاطر - ابن الجوزي - تحقيق: محمد محي الدين الأصفر - دار الإشراق - ط١(١٤١١هـ).
٨٢. طالب العلم والرحلة - شريط - محمد المنجد.

٨٣. طبقات ابن سعد الكبرى – محمد بن سعد الزهري – تحقيق / إحسان عباس – دار صادر –بيروت – ط١(١٩٦٨م).
٨٤. عبد الله بن سالم البصري من أعلام المحدثين بالحرم الشريف – العربي الرائز الفياطري – دار البشائر الإسلامية – بيروت – ط١(١٤٢٦).
٨٥. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية – محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة المقدسي أبو عبد الله – دار الكاتب العربي – بيروت – تحقيق: محمد حامد الفقي.
٨٦. فتاوى الشيخ على الطنطاوي، المحقق: مجاهد مأمون ديرانية، الناشر: دار المنارة، جدة، ١٤٠٥ – ١٩٨٥م.
٨٧. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار العاصمة، الرياض، ط ١، ١٤١١هـ.
٨٨. فتاوى المسافرين والمغتربين، للشيخ: ابن باز وابن عثيمين، ومن فتاوى اللجنة الدائمة.
٨٩. الفتاوى الهندية، الشيخ نظام وجماعة من علماء الهند، دار الفكر، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
٩٠. فتح الباري بشرح صحيح البخاري – أحمد بن على بن حجر العسقلاني – ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي – دار الريان للتراث – القاهرة – ط١(١٤٠٧هـ – ١٩٨٦مـ).
٩١. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي – شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي – المحقق: علي حسين علي – مكتبة السنة – مصر – الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
٩٢. فتوى حكم السفر إلى بلاد الشرك لسليمان بن عبد الوهاب، تحقيق: د. وليد الفريان، مجلة البحوث العدد٢٥ ص٢١٠.
٩٣. الفقيه والمتفقه – أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي – المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي – الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية – الطبعة: الثانية، ١٤٢١ه.
٩٥. فيض القدير – المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري – دار

الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الاولى ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.
٩٦. قصر الأمل – ابن أبي الدنيا. المحقق: محمد خير رمضان يوسف – الناشر: دار ابن حزم – لبنان / بيروت – الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
٩٧. القيادة على ضوء المبادئ – د: عبد اللطيف الخياط –دار الهدى للنشر والتوزيع – الرياض – ط١(١٤٢١هـ).
٩٨. الكامل في التاريخ – ابن الأثير – دار الكتاب العربي – بيروت – ط٣(١٤٠٠هـ).
٩٩. كتاب العلم – ابن عثيمين – دار الثريا – المملكة العربية السعودية.
١٠٠. الكشاف – جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي – دار المعارف – بيروت.
١٠١. كشف المشكل من حديث الصحيحين – جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) – المحقق: علي حسين البواب – الناشر: دار الوطن – الرياض.
١٠٢. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال – علي بن حسام الدين المتقي الهندي – مؤسسة الرسالة – بيروت (١٩٨٩م).
١٠٣. لسان العرب – محمد مكرم منظور – دار الصادر – بيروت – ط١.
١٠٤. لقاء مع الشيخ سلمان العودة على قناة mbc الفضائية في برنامج الحياة كلمة بعنوان الابتعاث الخارجي، منشور مفرغ على موقع الإسلام اليوم.
١٠٥. ليدبروا آياته – حصاد ٧ سنوات من التدبر – إعداد اللجنة العلمية لمركز تدبر – مجموعة من الوقفات التدبرية – الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ.
١٠٦. المبسوط، شمس الدين السرخسي، دار المعرفة، بيروت.
١٠٧. المجالسة وجواهر العلم – أبو بكر أحمد بن مروان بن محمد الدينوري القاضي المالكي – دار ابن حزم – بيروت (١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م).
١٠٨. مجلة البيان – عدد ٥٦ – مقال بعنوان: الحركة العلمية في الحجاز.
١٠٩. مجلة البيان – عدد ٨٩ – العلاقة بين العلم والخلق في الفكر التربوي الإسلامي – د/ محمد عز الدين.
١١٠. مجلة الجامعة الإسلامية – عدد ١١٠ – بحث بعنوان: الفكر التربوي

في رسائل الملك عبدالعزيز وخطاباته – د/ طارق بن عبدالله حجار.
١١١. مجلة الجامعة الإسلامية عدد ٧٥ – ٧٦ – بحث بعنوان كتاب تصحيح العمدة للإمام الزركشي دراسة وتحقيق الدكتور مرزوق بن هياس آل مرزوق الزهراني.
١١٢. مجمع الزوائد –على بن أبي بكر الهيثمي– دار الريان للتراث ودار الكتب العلمية – القاهرة، بيروت.
١١٣. المجموع في شرح المهذب – للإمام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووي – دار الفكر – بيروت.
١١٤. مجموعة فتاوى الشيخ ابن باز، عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، طبعة: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء – الرياض.
١١٥. مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – جمع وترتيب – عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي – الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
١١٦. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء – المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني – شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
١١٧. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي – للرامهرمزي. المحقق: د. محمد عجاج الخطيب – الناشر: دار الفكر – بيروت – الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ.
١١٨. المستدرك على الصحيحين – محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري – تحقيق مصطفى عبد القادر عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط١(١٤١١هـ – ١٩٩٠م).
١١٩. المستقصى من أمثال العرب للزمخشري – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط٢ – ١٩٨٧م.
١٢٠. مسند الإمام أحمد بن حنبل – أحمد بن حنبل الشيباني – مؤسسة قرطبة – القاهرة.
١٢١. مسند البزار – أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة – الطبعة: الأولى.

١٢٢. مسند الدارمي المعروف بـ سنن الدارمي - عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي - تحقيق: حسين سليم أسد الداراني - دار المغني للنشر والتوزيع، - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٢٣. مسند الشاميين - سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ (١٤٠٥ هـ).

١٢٤. مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار - للحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ابن أبي بسكر بن أبي شيبة - ضبطه وعلق عليه الأستاذ سعيد اللحام - مكتب الدراسات والبحوث في دار الفكر.

١٢٥. المعجم الكبير - سليمان بن أحمد الطبراني - تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي - مكتبة العلوم والحكم - الموصل - ط٢(١٤٠٤هـ).

١٢٦. المعجم الوسيط- مجمع اللغة العربية - الناشر: مكتبه الشروق الدولية، رقم الطبعة: ٤، تاريخ الطبعة: ٢٠٠٤.

١٢٧. معرفة السنن والآثار - المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، المحقق: عبد المعطي أمين قلعجي، جامعة الدراسات الإسلامية (كراتشي - باكستان)، دار قتيبة (دمشق - بيروت) الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

١٢٨. مفاتيح الغيب - محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م. الطبعة: الأولى

١٢٩. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة - محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله - دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣٠. المنتقى في فتاوى الشيخ صالح الفوزان، تحقيق: عادل محمد الريدان، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦هـ.

١٣١. المنثور في القواعد الفقهية، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، وزارة الأوقاف الكويتية، ط: ٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٣٢. المنقذ من الضلال - أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي - دار النشر: المكتبة الثقافية - بيروت / لبنان - تحقيق: محمد محمد جابر.

١٣٣. المواعظ والاعتبار –تقي الدين أبو العباس المقريزي – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة.
١٣٤. الموافقات، للشاطبي، بعناية محمد عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت.
١٣٥. مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل – محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني – المحقق: زكريا عميرات – الناشر: دار عالم الكتب – الطبعة: طبعة خاصة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
١٣٦. الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت.
١٣٧. موسوعة شروح الموطأ – تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي – مركز هجر – القاهرة –ط١(١٤٢٦هـ).
١٣٨. موطأ الإمام مالك – مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي – دار إحياء التراث العربي – مصر – محمد فؤاد عبد الباقي.
١٣٩. موقع ملتقى أهل الحديث على الشبكة العنكبوتية.
١٤٠. مناقب الإمام أحمد، المؤلف، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر، الطبعة، الثانية، ١٤٠٩هـ.
١٤١. نزهة الفضلاء تهذيب سيرة أعلام النبلاء للذهبي – محمد حسن عقيل موسى – دار الأندلس – جدة – ط١(١٤١١هـ).
١٤٢. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
١٤٣. هداية الطريق في رسائل وفتاوى بن عتيق، إسماعيل بن سعد بن عتيق، نسخة مصورة منشورة على موقع مكتبة صيد الفوائد.
١٤٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي – المحقق: إحسان عباس – الناشر: دار صادر – بيروت.

فهرس الموضوعات

المقـدمـة ٥
سبب اختيار الموضوع: ٨
منهجية البحث ٨
خطة البحث ٩
الفصل الأول: مقدمات تأصيلية في الرحلة لطلب العلم ١٣
المبحث الأول: فضل الرحلة في طلب العلم ١٥
المبحث الثاني: أهمية الرحلة لطلب العلم ٢٦
المبحث الثالث: حكم الرحلة في طلب العلم ٣٤
المبحث الرابع: أحكام خاصة بالبلاد المرتحل إليها ٤٠
المبحث الخامس: صعوبات الرحلة في طلب العلم ٤٩
المبحث السادس: أركان الرحلة في طلب العلم ٥٢
الركن الأول: المرتَحِلُ ٥٢
الركن الثاني: المرتحل إليه ٥٥
الركن الثالث: مكان الرحلة ٥٧
الركن الرابع: منهج الرحلة ٥٨
الفصل الثاني: أهداف يجب أن تكون عند طالب العلم من رحلته ٥٩
المبحث الأول: الهدف الأول: أن يكون صالحاً في دينه وأخلاقه ٦١

المطلب الأول: سلامة العقيدة ٦١
المطلب الثاني: صحة العبادة ٦٣
المطلب الثالث: متانة الخلق ٦٥
المطلب الرابع: مجاهدة النفس ٦٨
المبحث الثاني ٧٠
الهدف الثاني: أن يكون قدوة علمية وعملية في تخصصه ٧٠
المبحث الثالث: الهدف الثالث: أن يكون نافعاً للمسلمين
خصوصاً وللناس عموماً ٧٤
المطلب الأول: أن يكون مصلحاً لغيره ٧٥
المطلب الثاني: أن يكون قدوةً ٧٦
المطلب الثالث: أن يكون قائداً ٧٨
المطلب الرابع: أن يكون إيجابياً ٧٩
المطلب الخامس: أن يكون مؤثراً ٨١
المطلب السادس: أن يكون باذلاً للمعروف ٨٢
المبحث الرابع: الهدف الرابع: أن يحسن إدارة ذاته ٨٤
المطلب الأول: أن يكون قوياً ومحافظاً على صحته ٨٥
المطلب الثاني: أن يكون محافظاً على وقته ٨٧
المطلب الثالث: أن يكون مرتباً ومنظما في أموره كلها ٩٠
المطلب الرابع: أن يكون قادرا على كسب معاشه ٩١
الفصل الثالث: تنبيهات ووصايا لطالب العلم في غربته ٩٦

المبحث الأول: تنبيهات عامة لطالب العلم ٩٨
أولاً: تجديد ومراقبة الإخلاص لله في الطلب والسفر ٩٨
ثانيا: استئذان الأبوين ٩٩
ثالثا: الاجتهاد في التحصيل العلمي ١٠٠
رابعاً: الاهتمام بالقرآن وبالعبادات ١٠٣
خامساً: الصبر على العلم والتعلم ١٠٣
سادسا: عدم الانشغال بغير العلم ١٠٥
سابعا: القناعة في الدنيا والعفة عما في أيدي الناس ١٠٦
ثامناً: بذل المال في سبيل الطلب ١٠٩
تاسعا: العمل بالعلم ١١٠
عاشرا: التعاون بين طلاب العلم ١١٠
المبحث الثاني: تنبيهات لطالب العلم في علاقته بالعلماء ١١٢
أولاً: توقير العلماء وحسن الخلق معهم ١١٢
ثانيا: محبة العلماء ١١٧
ثالثاً: الدعاء للعلماء ١١٩
رابعاً: ذم مجادلة العلماء ١٢١
خامسا: الصبر على ما يصدر من المشايخ ١٢٢
سادسا: الحذر من الخوض في أعراض العلماء وتتبع زلاتهم،
وإسقاطهم من أعين الناس ١٢٣
سابعا: الحذر من التعصب والتقليد للشيوخ ١٢٦

ثامناً: المناصحة للعلماء ١٢٧
المبحث الثالث: مفسدات الرحلة في طلب العلم ١٣٠
١ - فساد النية ١٣٠
٢ - ترك العمل بالعلم ١٣١
٣ - مدح طالب العلم لنفسه ١٣٢
٤ - اليأس ١٣٣
٥ - التسويف ١٣٤
٦ - الاستعجال في طلب العلم: ١٣٥
٧ - الاستعجال في التصدر والفتيا ١٣٦
٨ - التباغض والتحاسد بين الطلاب ١٣٧
٩ - الطمع في الدنيا وبما في أيدي الناس ١٣٨
١٠ - ضياع الأوقات ١٣٨
١١ - نسيان العلم ١٣٩
١٢ - المعاصي ١٤٠
المبحث الرابع: نموذج في وصية الحسن بن سفيان النسوي لطلابه ١٤٢
الفصل الرابع: نماذج في الرحلة لطلب العلم ١٤٦
المبحث الأول: نماذج من رحلات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ١٤٨
المطلب الأول: إبراهيم عليه السلام يهاجر إلى ربه يلتمس الهداية ١٤٨
المطلب الثاني: رحلات موسى عليه السلام لطلب العلم ١٤٩
أولاً: رحل موسى عليه السلام للقاء ربه والتلقي منه: ١٤٩

٢

منهج الإسلام في رعاية
طلاب العلم المغتربين

الرحلة في طلب العلم
أحكام وتنبيهات ونماذج

هذا الكتاب محاولة لبيان منهج الإسلام في الرحلة لطلب العلم وترك الأوطان والأهل من أجل البحث عن العلم، والتّفَرُّغ لتعلم رسالة الله تعالى، وتبليغها للناس، فهو:

تنبيه للعلماء والدعاة على الأمور التي يجب أن يربوا عليها الطلاب المرتحلين لطلب العلم.

وبيان أن الأصل في طلب العلم هو الارتحال إليه سواء كانت الرحلة في طلب العلم بعيدة أو قريبة، حيث إن العلم يُؤتى إليه ولا يَأتي وغلب ذلك عليه حتى سمُّيَ من يريد العلم طالباً، أي: هو الذي يبحث عنه ويطلبه.

وتحفيز طلاب العلم على الرحلة في طلب العلم
وبذل الجهد في ذلك.

دار طيبة الخضراء
للنشر والتوزيع

ثانياً: ورحل موسى عليه السلام مع خيار قومه ١٥٠
ثالثاً: رحلة موسى عليه السلام للخضر ١٥٢
المطلب الثالث: النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج ١٥٧
المبحث الثاني: نماذج من رحلة الصحابة في طلب العلم ١٥٩
١ – رحلة جابر بن عبدالله رضي الله عنه إلى الشام ١٥٩
٢ – رحلة أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ١٦٠
٣ – رحلة أبي ذر رضي الله عنه ١٦٠
٤ – رحلة أبي هريرة رضي الله عنه ١٦١
٥ – رحلة قوم من أهل اليمن ١٦١
المبحث الثالث: نماذج من رحلات التابعين وعلماء السلف ١٦٢
الخاتمة ١٦٧
قائمة المصادر والمراجع ١٧٣
فهرس الموضوعات ١٨٥